أساسيات البحث

المقدمة :

الأدب العربي بشتى ضروبه يعتبر إرثاً تاريخياً تتناقله الأجيال ويتناوله النقاد بالبحث والتحليل ، وقد حفلت المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات التي اهتمت بالأدب ، إلا أن حظ النثر من هذه البحوث يبدو ضئيلاً إذا ما قورن بالبحوث في غيره من الفروع ، وهذا ما دعا الباحث لأن يبحث في موضوع النثر، ليكون هذا البحث دعماً لما سبقه من بحوث .

ولأن الخطابة كالشعر من أقدم الآثار الأدبية فقد خصص الباحث بحثه هذا ليكون عن تطور فن الخطابة في القرن الأول الهجري ، لتكون دراسته رصداً للتطور الذي طرأ على فن الخطابة في ذلك العصر والذي يعد امتداداً للعصر الجاهلي وإن اختلفت مواضع الخطابة فيه.

وظلت اللغة العربية تساير الرقي العلمي والأدبي والعمراني ، فنراها أداة الخطابة ، في منابر السياسة ، والقضاء ، والمحافل في شتى أغراضها.

ولذا ينبغي أن تتطور التطور الأوفى ، فإذا نظرنا إليها بهذا الاعتبار علينا أن نعمل على تغذيتها بالصالح المفيد من الصيغ ، والتراكيب .

وحــاول الباحــث فــي هــذا البحــثأنَّ يعطــي فكــرة عامــة عــن تطــور فــن الخطابـة منـذ صـدور الإسـلام حتـى نهايـة القـرن الأول الهجـري ،ويأملُ أن يكـون قد وفق في رصد هذا التطور الذي حدث في تلك الفترة في الخطابة .

مشكلة البحث :

تكمــن مشكلة البحــث فــي أن الخطابــة فــنٌ يعتمــد علــى فصــاحة الخطيــب وبلاغتــه و وضــوح صــوته، وهــي مــن أقــوى وســائل التــأثير علــى الســامع لحضــور المــتكلم بشخصــه واســتغلاله مقدراتــه الصــوتية فــي التــأثير علــى المخــاطبين ، لــذا ينبغي أن تتوفر هذه السمات في كل خطيب .

وعليه يمكن صياغة المشكلة في السؤال الأتي :

كيفــتطوَّر فن الخطابة في القرن الأول الهجري؟

أهمية البحث :

تــأتي أهميــة هــذا الموضــوع الــذي يتنــاول تطــور فــن الخطابــة فــي القــرن الأول الهجري منذ صدر الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري في الآتي :

1- يسهم في إستفادة المهتمين بالخطابه في التجويد و البيان.

2-يفتح الآفاق أمام الباحثين في هذا المجال لمزيد من الدراسات.

أسباب اختيار الموضوع:

العوامل التي دعت الباحث لاختيار هذا الموضوع تتمثل في الوقف على التطور الذي طرأ على هذه الخطب في الحدود الزمانية منذ صدر الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري .

وقد تناول الدارس في هذا البحث تطور فن الخطابة منذ صدر الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري بعد أن اطلع على فنونها ، وأغراضها وقيمها الفنية ، والشيء الذي دفع الباحث إليها تميزها عن غيرها من الأساليب الأخرى بسمات خاصة تختلف من جيل إلى جيل في تلك الفترة الزمنية المعينة ، حيث تذوق الباحث ما فيها من بلاغة ، وجمال وتغيّر في المفردات والتراكيب والتصوير الفني ، فلذلكحبْ ذ هذا الموضوع .

وهناك عدة عوامل ساعدت الباحث في اختيار هذا الموضوع وهو أن الخطابة لهأثر ٌ في نفسه، ويتبين له أن المثول أمام المتلقين يحتاج إلى جرأة وحضور ذهني واسع ، وسعة إطلاع ، فهي التي أكسبته قدرة على الحديث، ومواجهة الجمهور والزملاء ، والطلاب . والسبب الآخر الذي دفعه إلى اختيار هذا الموضوع هو حبه الشديد في أن يتعمق في دراسته ليتناول قضايا نثرية جديدة ، إذ إن أغلب الباحثين يجنحون في دراستهم للنصوص الشعرية.

أهداف البحث :

هدفت هذه الدراسة إلى الوصول إلى مجموعة من الأهداف تتمثل في:

1. توضيح معنى فن الخطابة في القرن الأول الهجري .
2. تبيين سياق التركيب من خلال النصوص الخطابية في تلك الفترة وشرحها شرحاً أدبياً .
3. تتبع الفترة الزمانية لازدهارها وتطور الخطابة والاستفادة منها في المنهج الحديث.
4. إبراز القيم الجمالية والأدبية الموجودة في نصوص الخطابة عن طريق التحليل الأدبي البلاغي .
5. توضيح الصور الجمالية والبيانية الأكثر استخداماً وورداً في الخطابة في تلك الفترة ، ومدى الاستفادة منها في توضيح الإضافات والتغييرات التي تطرأ عليها.

مصطلحات البحث :

تَطَوَّر : (فعل) طَوَّرَ يُطَوِّرُ تطوراً ، فهو متطور . تطور تحول من طورٍ إلى طورٍ تطورَ ، في دراسته : ترقى ، تدرج ، تطورَ المجتمع : عرف تغيراً وتبدلاً أي ، من حالٍ إلى حالٍ .[1]

[1] المنجد في اللغة ، ص 168.

تطـور (اسـم) مصـدر تطـور الوضـع الاجتمـاعي فـي تطـورٍ مسـتمرٍ فـي تغييـرٍ وتبدُّلٍ من مستوى إلى آخر ، من حالٍ إلى حالٍ .

التطـورُ : التغيـر التـدريجي الـذي يحـدث فـي بنيـة الكائنـات الحيـة وسـلوكها ، ويطلـق أيضـا علـى التغيـر التـدريجي يحـدث فـي تركيـب المجتمـع أو العلاقـات أو النظم أو القيم السائدة فيه.

فـن : نتـاج إبـداعي إنسـاني يلـون الثقافـة الإنسـانية ، لأنهـا تعبيـر عـن التعبيريـة الذاتيـة وليسـت تعبيـراً عـن حاجـة الإنسـان لمتطلبـات حياتـه. ويعتبـر الفـن نتاجاً إبـداعياً للإنسـان حيـث يشـكل فـي المـواد لتعبـر عـن فكـر ه أو يتـرجم أحاسيسـه أو مـا يراه من صور وأشكال يجسدها في أعماله.

الخطابـــة : هـــي الكـــلام المنثـــور يخاطـــب بـــه مـــتكلم فصـــيح جمعـــاً مـــن النـــاس لإقنـــاعهم . أو هـــي للكلام المؤلـــف الـــذي يتضـــمن وعظـــاً وا إبلاغـــاً علـــى صـــفة المخصوصـــة. هـــي فـــن مشـــافهة الجمهـــور للتـــأثير علـــيهم أو اســـتمالتهم. ولغـــة الخطابـة مـأخوذ مـن الخطـب (هـو الحـديث مـع الآخـرين مشـافه) والتعريـف الأمثـل للخطابة : هي فن ممكن وأداة منقولة تحقق من خلالها غايات كبرى.[1]

قَـرَ ـنَ : (اسم) مادة قَـرَ ـنَ ، الجمع أقران. القَرَنُ : يُقْرَنُ به البعيران.

قَـرَ ـنَ : (فعل) أَقْرِنُ ، إِقْرِنْ (مصدر) قَـرْ ـنٌ .

[1] المنجد في اللغة ، ص 168.

قَـرَنَ بينهمـا : جمـع ، قـرن بـين الـزوجين ، زوجهمـا ، جمـع بينهمـا بالعقـد. قـرن بـين الحـج والعمـرة جمـع بينهمـا فـي الإحـرام. القَـرْنُ مـادة صـلبة بجـوار الإذن فـي رؤوس البقـر و الغـنم والقحوف. القَـرْنُ مـن القـوم سـيدهم ، القَـرْنُ مـن السـيف والنصـل حَـدُّهُما ، القَـرْنُ مـن الشـمس أول يبـزغ عنـد طلوعهـا ، القَـرْنُ مـن الزمان مائةُ سنةٍ .

الهِجْـرَة : اسـم الجمع هَجَرات واسم المرّة هَجْرَة . والهِجْـرَةُ : الخـروج مـن ارضٍ إلـى أُخـرى ، والهِجْـرَةُ انتقـال الأفـراد مـن مكـانٍ إلـى آخـر سـعياً وراء الرزق.

والسنةُ الهجريةُ : سنة قمرية شهورها الاثنا عشر شهراً .

ويبـدأ التقـويم الهجـري بهجـرة الرسـول – صـلى الله عليـه وسـلم – مـن مكـة إلـى المدينـة. ويتفق الدارسون على أنّ غُرَّة المحرم من السنة الأولى من الهجرة كانت توافق السادس عشر من يوليو من العام ستمائة واثنان وعشرون للميلاد. الهجرة النبويـة خـروج النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم – مـن مكـة إلـى المدينـة سـنة 622 م ، دار الهجرة المدينة المنورة.

السـيميائية : هـي مـنهج معرفـي يقـوم علـى دراسـة أنظمـة العلاقـات اللسـانية وغيـر اللسانية في الحياة الاجتماعية

حدود البحث:

بمـأن ّ البحـث فـي مجملـه دراسـة لتطـور فـن الخطابـة فـإن حـدوده الزمانيـة تمتـد مـن صـدر الإسـلام إلـى نهايـة القـرن الأول الهجـري ، وتكـون مـادة البحـث قاصـرة علـى التطـور فـي الخطـب التـي قيلـت فـي تلـك الفتـرة ، وطبعـت ونشـرت منـذ عهـد الرسـول - صـلى الله عليـه وسـلم – والخلفـاء الراشـدين مـن بعـده إلـى خلافـة عمـر بـن عبـد العزيـز فـي العصـر الأمـوي .ويركـز الباحـث علـى التطـور الـذي طـرأ على تلك الخطب في جميع الأساليب والموضوعات التي قيلت فيها.

منهج البحث :

المـنهج الـذي اتبعـه الباحـث فـي هـذا البحـث هـو المـنهج الوصـفي التحليلـي مستعرضـاً ذلـك فـي ضـوء التغيـر الاجتمـاعي والحضـاري والسياسـي والعوامـل المـؤثرة فيـه مـن خـلال الخطـب ورصـد مـا طـرأ عليهـا مـن تغييـرات وتطـور فـي فـن الخطابة في القرن الأول الهجري .

أسئلة البحث :

توقفت هذه الدراسة إلى الوصول إلى مجموعة من الأسئلة تتمثل في الأتي:

1-ما هي الدواعي التي من أجلها تكون الخطابة ؟

2-ما هو نوع التطور الذي طرأ على خطب العرب منذ صدر الإسلام؟

3-كيف يمكن دراسة تطور فن الخطابة من خلال النصوص؟

4-ما هي مظاهر المنهج المتبع لخطباء بني أمية ؟

صعوبات البحث :

وقد اعترضتْ سبيل هذا البحث العديد من الصعوبات من بينها ورود نص الخطبة بأكثر من صيغة وكذلك التداخل بين الخطب وتعددها مما دعا الباحث إلى اختيار بعض النماذج لأنه لو كان أخذ في النقل لتاه من وسع هذا الميدان.

إنَ من أهم الصعوبات التي واجهت الباحث في هذه الدراسة عدم توفر المصادر والمراجع وأمهات الكتب التي نستقي منها المعلومات ويحدو الباحث أملٌ كبير في أن ينال بحثه هذا رضا واستحسان كل من يطلع عليه والله المستعان.

هيكل البحث :

يحتوي البحث على خمسة فصول :

الفصل الأول :الإطار النظري و الدراسات السابقة.

الفصل الثاني : بمباحثه الثلاثة عن دواعي الخطابة ، حيث تباينت دواعيها بين الداعي الديني والداعي السياسي والداعي المحفلي مع نماذج لكلٍ من هذه الدواعي.

الفصل الثالث : فهو عن الخطابة في صدر الإسلام ويحتوى على ثلاثة مباحث تحتوي على نماذج من خطب الرسول – صلى الله عليه وسلم – وخطب الخلفاء الراشدين من بعده ، و تحليل ومناقشة هذه الخطب.

الفصل الرابع : واشتمل على الخطابة في العصر الأموي ، وقد حو ى هذا الفصل على ثلاثة مباحث تنوعت الخطابة فيها وتعددت بتعدد الخلفاء وتعاقبهم، حيث تعرض الباحث فيها إلى ما حدث من تطور وما فيها من ألوان بيانية وجملية.

الفصل الخامس : ويشتمل على الخاتمة ، النتائج والتوصيات ومن ثم المصادر والمراجع.

الدراسات السابقة :

عند استعراض الباحث لبعض البحوث السابقة في هذا الميدان العلمي – بصورة مختصرة – وجد الباحث أن ّ عدداً من الدراسات العلمية تناولت المسألة البلاغية من الناحية الفلسفية والفكرية المتعلقة بنشأة اللغة ، وأصلها ومبدأ وضعها وكذلك القصص القرآني والخطاب الإعلامي .

وذكر الباحث من هذه الدراسات :

1-دراسة مها حسبو محمد الحاج ، رسالة ماجستير جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، 2008م ، بعنوان الخطبل القصصي في القر آن الكريم ، دراسة تطبيقية في سورة يوسف . حيث هدفت هذه الدراسة إلى بيان الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم في السرد القصصي والكشف عن خصائص السرد في القرآن الكريم. واتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي كما استعانت بمنهج (تحليل الخطاب) لتحليل الخطاب القصصي في سورة يوسف، حيث خلصت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها :

اللغة والبلاغة العالية والجذابة التي يأتي بها أسلوب القصص في القرآن الكريم والتصوير البديع للمشاهد تجعل القارئ يراه رأي العين ، وهذا ليس بجديد على لغة القرآن الكريم.

الاختلاف في طريقة عرض القصة فمرةً يأتي الملخص ثم التفصيل والعكس وهذه الطريقة بديعة وجميلة في كل مرة تختلف في شد انتباه القارئ وتشويقه لمعرفة النهاية .

2-دراسة خالدة الطاهر علي الطاهر ، رسالة ماجستير جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2014م ، بعنوان البنية السيميائيه للخطاب الرئاسي ، دراسة تطبيقية على الخطاب الرئاسي ، حيث هدفت هذه الدراسة إلى مجموعة من الأهداف أهمها:

بيان أهمية اللغة ودورها الفاعل في عملية الاتصال.

إبراز فاعلية الخطاب الرئاسي.

واتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، حيث خلصت هذه الدراسة لأهم النتائج منها :

قدمت السيميائية إضاءة جديدة لفهم المعنى في الحقل الثقافي والفني ولاسيما الحقل الإعلامي وخاصة الخطاب الرئاسي.

3- دراسة سالم العبيد حامد سالم ، رسالة دكتوراه، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا كلية اللغات ، 2010م ، بعنوان لغة الخطابة منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي على المستويين الصرفي والتركيبي ، دراسة لغوية تحليلية. حيث هدفت هذه الدراسة إلى بيان إمكان الجملة

العر بيــة مــن خــلال النصــوص الخطابيــة وفــق النظريــات الألســنية المعاصــرة ، ونظريـــات الفكـــر اللغـــوي العربـــي . بيـــان القيمـــة اللغويـــة ، والتركيبيـــة الموجـودة فـي النصـوص الخطابيـة . واتبـع الباحـث فـي هـذه الدراسـة المـنهج الوصـفي الـذي يعتمـد علـي التحليـل والمقارنـة بـين الصـيغ اللغويـة والتراكيـب اللغويــة بغيــة معالجــة الخطابــة فــي الــدرس اللغــوي ، حيــث خلصــت دراســته إلى عدة نتائج من أهمها :

تؤكـد الدراســة تكامـل الدراســات الصــرفية والتركيبيــة مــع التحليـل اللغـوي الحـديث بناءً على نظريات الألسنية المتطورة ، ونظريات علماء اللغة العربية القدماء.

أسـهمت مـادة الدراسـة فـي كشـف إمكـان توسـيع الجملـة الاسـمية البسـيطة بتضـمين كـان ، أو إنّ التوكيديــة فــي البنــاء البــاطبنــاءً علــى نظريتــة تُشومســكي ،فقــد جــاء ترتيــب عناصــرها البنائيــة علــى الأصــل ، وتحديــد العناصــر الأساســية المؤلفــة للجملة بـُغية الكشف عن التغييرات التحويلية.

4-دراســة ســمير إبــراهيم العــزاوي ، رســالة دكتــوراه ، جامعــة أم د رمــان الإســلامية ، بعنــوان التفكيــر الســيميائي وتطــور منــاهج البحــث الأســلوبي المعاصــر ، دراســة فــي اللّســانيات الحديثــة ، كليــة التربيــة (لغــة عربيــة) ، هدفت هذه الدراسة إلى :

1-توصيف المنهج التراثي للبلاغة العربية (المنهج التقليدي) إلى:

أ- أصيل – متطور (الجاحظ).

ب- فلسفي – منطقي (السكاكي).

2-توصيف المنهج المعاصر للبلاغة العربية (المنهج السيميائي):

أ- منهج (لساني دي سوسير ومدرسة باريس السيميائية).

ب- منهج (عقلي فلسفي) شارل سندريس بيرس والمدرسة الأمريكية.

مـنأهـم نتـائج هـذه الدراسـة ، توافـد العـرب علـى قـراءة الـدر س البلاغـي الإغريقـي عنـد أرسـطو وأفلاطـون بخاصـة ولكـنهم غـالوا فـي إفـادتهم مـن الفكـر الفلسـفي وتحديـدات المناطقـه ، ومـن هـؤلاء ابـن عميـره المغاربـة والسكاكي عند المشارقة.

وكـل هـذه الدراسـات لـم تتنـاول الخطابـة بشـكل محـدد وخاصـة فـي جانبهـا الفنـي مـن حيـث التطـور الـذي طـرأ عليهـا فـي أسـلوبها ودواعيهـا الأمـر الـذي جعـل دراسـة الباحـث تختلـف عـن الدراسـات السـابقة بأخـذها تطـور فـن الخطابـة فـي القـرن الأول الهجـري فـي شـتي المجـالات الدينيـة السياسـية والمحفلية مع بيان تحليل نماذج من تلك الخطب تحليلاً أدبياً .

التمهيد:

لم يصلنا من النثر الجاهلي إلا النذر اليسير ، لأن العرب كانوا يعتمدون في نقل أدبهم على الحفظ لا على الكتابة ، فكانت كتاباتهم لا تمتد إلى تدوين الكتب والقصص والرسائل ، والقليل الذي وصلنا من النثر الجاهلي ليس له كبير قيمة تاريخية أو فنية بسبب ما لحقه من تحريف . و النثر في هذا العصر وليد الطبع يشيع فيه السجع ، وهو متين اللفظ والتركيب ينزع إلى الإيجاز والموسيقى ، ويرسل مقطعاً .

وقد كثرت الخطابة في هذا العصر لتعدد بواعثها فأن القبائل العربية كانت بدوية لا تضبطها قوانين مدونة ولا نظم فكانت الخطابة فيها فطرية ، يلجأ إليها المرء للدفاع عن نفسه وقومه ، فيمواقف المفاخرة المنافر ة ، والذود عن الشرف والإحذات البين بين حي ً وحي ً أو بين قبيلة وقبيلة ، والدعوة إلى التفاهم والصلح ، والحض على القتال والانتقام والسفارة بين رؤوس القبائل واقبالهم أو بين الملوك وعمالهم .

وكان البدوي يلجأ إليها بنو ع خاص في المواسم والمحافل والعظام وفى الأسواق المتعددة.

إلا أنه لم يبلغنا من خطبهم إلا الشيء القليل منثوراً في الكتب التاريخية . وأكثر ما يروي من الخطب الجاهلية لا يمكن الاطمئنان إليه من الوجهة التاريخية لطول المسافة بين روايته وكتابته .

وكان للعرب في الجاهلية سنن خاصة في خطاباتهم منها أنهم كانوا يخطبون على رواحلهم ، وكان من عاداتهم أن يقفوا على نشز[1] من الأر ض وأن يشيروا أثناء خطبهم بالغناء والعصي والقضبان والقسى[2] وكانو ا يمدحون في الخطيب جهار ة الصوت وفخامته ، وشدة العارضة ، وظهور الحجة ، وثبات الجنان ويذمون البُ هر[3] والارتعاش والرعدة والحصر[4].

بعد أن امتازت الخطابة الجاهلية بقصر العبارة وكثرة الحكم والأمثال ، واللجوء إلي السجع القصير الفواصل وكان الجاهليون يدمجون كثيراً من الصور في ذلك السجع ويحيطونه بكثير من التجويد والتحبير مما يجعل له أثراً فعالاً في الأسماع .

ولما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أيأمة إما دعوة دينية ، وا إما دعوة سياسية، كانت الدعوة الإسلامية تستدعى ألسنة قو ّ الة من أهلها لتأييدها ونشرها ، وألسنة من أعدائها وخصومها لاضحادها والصد عنها وذلك لا

[1] نشز : المكان المرتفع – القاموس المحيط – الفيروز بادي – محي الدين محمد إبن يعقوب – مادة نشز – ج2 – 1983 – بيروت
[2] القسي ، ثياب من كتان محفوف بحرير ، ابن منظور أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، المجلد السادس مادة (قسس) ص 75.
[3] البُهر ، تتابع النفس ، الجوهري ، إسماعيل ابن حماد ، تاج اللغة وصحاح العربية ، ط 3 / 1982م / ص 598.
[4] الحصر ، الحبس هو الموضع الذي يحصر فية الإنسان أنفاسه عند الكلام ، المعجم الوجيز ، ص 155.

يكـون إلا بمخاطبـة الجماعـات فكـان العمـل الأكبـر لصـاحب الـدعوة العظمـي سـيدنا محمـد -صـلى الـه عليـه وسـلم - بـادي أمـره غيـر تبليـغ القـرآن وارداً عـن طريـق الخطابـة ، ولـذلك كـان دعـاة النبـي -صـلى الله عليـه وسـلم -ورسـله إلـى الملـوك وأمـراء جيوشـه وسـرياه ثـم خلفائـه مـن بعـده وعمـالهم كلهـم خطبـاء مصـاقع[1]ولسـناً مقـاول ، بعبـارات تفهمهـا الخاصـة والعامـة ، وكـان لهـم مـن القـرآن وأدلته وحججه والاقتباس منه مدداً أيما مدد.[2]

ولمـا حـدثت الفتنـة بـين المسـلمين بعـد مقتـل عثمـان ، وافترقـوا إلـي عـراقيين بزعامـة الإمـام علـي كـرم الله وجهـه وشـاميين بزعامـة معاويـة ، ولكـل مـنهم دعـو ى يؤيـدها فـي تلـك الحـرب التـي لـم ينكـب الإسـلام بمثلهـا ، وظهـر مـن كلتـا الطـائفتين خطبـاء لا يحصـى عـددهم ، ولا يشـق لهـم غبـار وعلـى رأس العـراقيين شـيخ الخطبـاء الإمـام علـى بـن أبـي طالـب وعلـى رأس الشـاميين معاويـة بـن أبـى سفيان .[3]

وقـد وصـلت الخطابـة فـي هـذا العصـر إلـي أرقـى مـا وصـلت إليـه، ولـم تسـعد العربيـة بكثـرة خطبـاء ووفـرة خطـب مثـل مـا سـعدت بـه فـي هـذا العصـر الأول إذ كان القوم ورؤساهم عربٌ خلص يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

[1] الفيروز بادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب القاموس المحيط ، دار الفكر بيروت ، 1983م ، مصاقع بلغاء ، مادة صقع ، ج 3 ، ص 51.
[2] - حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، المكتبة البوليسية ، بيروت ، ط 8 (د.ت.ط) ، ص 203.
[3] حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، ص 202.

ولـم يخـرج الخطبـاء عـن مـألوفهم عـن إعتجـار العمامـة والاشـتمال بـارداء واختصار المختصرة [1]

وكانـت الخطابـة فـي هـذا العصـر سلسـلة القيـاد علـى حلفائـه وزعمائـه لفطـرتهم العربيـة ومحلهـم مـن الفصـاحة والبيـان وانطبـاعهم علـى أسـاليب القـرآن وأتسـاع مداركهم [(2)]

واختلفـت أغـراض الخطابـة فـي هـذا العهـد بـين دينيـة ، وحزبيـة ، وحربيـة ، وكانـت تتـدفق حيـاة وكثـر فيهـا أسـاليب التهديـد والتهويـل مـن غيـر خـروج عـن الإيجـاز . وقـد فشـت لخطابـة هـذا العهـد فشـواًعظيمـاً و أحبهـا النـاس ، فحفلـت بهـا النـوادي والمجـالس وقصـور الخلفـاء والأمـراء ، وأمـاكن القضـاء ولا عجـب فـي ذلـك فقـد تـوفرت دواعيهـا فـيبيئـة رأت دينـاً جديـداً يبـث دعوتـه ويناضـل خصـومه وينطـق الوعـاظ علـى منـابره لتغذيـة الشـعور الـديني القـوي ، ورأت أمـة تتوحـد تحـت نظـام اجتمـاعي يوحـد العـرب فـي ظـل رئاسـة عليـا يحتـاج إلـي توطيـد ، وتفـاهم بـين الرعـاة والرعيـة فـي زمـن كـان أكثـر الاعتمـاد فيـه علـى الألسـنة لا علـى الأقـلام ، كـل ذلـك مـع قـرب عهـد مـن فصـاحة الجاهليـة ، وملكـة بيانيـة تمكـن مـن الكلام مهيئاً ومرتجلاً .[(3)]

[1] المختصرة: كالسوط ، ما اختصر الإنسان ، صحاح الجوهري ، مادة (حصر) ج 2 ، ص 646.
[2]- السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ، ص 109.
[3]- القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج1 ، نسخة مصورة عن الأمطبعة الأميرية ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، ط1 ، 1987م ، ص 91.

ونزعه الخطابة فيهذا العهد نزعه دينية ، ظهرت فيها معاني القر آن ، ونفخت فيها العاطفة الدينية والحزبية بشدة ، واهتم الخطباء بالتأثير والإقناع، فأكثروا من أساليب التهديد والإزار ، ولئن جار ت الخطابة الطبع في فجر الإسلام فقد تطورت مع الأيام ، و أخذت تهتم بفنون الموسيقي الصوتية وضروب التحبير والتحسين ، وظهر السجع بعد أن أعرض عنه محمد -صلى الله عليه وسلم- متحاشياً لأساليب المتكهنين وكان ظهوره عن ألسنة خطباء الوفود حين يقفون بين يدي الخليفة.[1]

وقد كثر السجع شيئاً فشيئاً كما كثر التصوير وحوت خطب ذلك العهد ، ولا سيما القسم الأموي ، فنوناً من البلاغة والفصاحة وروعة التعبير ، وضروباً من التقسيم والتشبيهات والاستعارات ، إلي أنها لم تخرج عن حدود الإيجاز في مجملها كما أنها لم تخرج خروجاً جوهرياً عن الشدة والصلابة والمتانة الجاهلية .[2]

وبذا تكون الخطابة في العصر الإسلامي عبارة عن كلام مبني على حمد الله وتمجيده وتقديسه وتوحيده والثناء عليه والصلاة على رسوله- صلى الله عليه وسلم -، والتذكير والترغيب والحض على طلب الثواب والأمر بالصلاح والإصلاح . [3]

---

[1] حنا الفاخوري تاريخ الأدب العربي ، ط 8 ، ص 315.
[2] القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ص 91.
[3] حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، ص 319.

المبحث الأول

الداعٍ الديني

تختلف أغراض الخطابة باختلاف دواعيها ، فمنها الدينية وفيها الدعوة إلى الدين وحجاج المعادين ([1])، وقد احتلت الخطابة الدينية في هذا العصر منزلة الصدارة فقد اتخذها الرسول- صلى الله عليه وسلم- وصحابته وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية والدعوة إلى تعليم الدين الجديد ووعظ المسلمين وحثهم على مكارم الأخلاق . كما استعملت لمهاجمة المشركين ومجادلتهم وبيان فساد عقائدهم .

واحتلت الخطب الدينية مكانها في أيام الجمع والعيدين وفى مواسم الحج وفى كثير من المناسبات الدينية . كما قام الوعاظ في المساجد يزهدون الناس في الدنيا ويحثونهم على اتباع أوامر الدين ، ويقصون على الجنود سير الأبطال من الصحابة ويتلون عليهم الآيات ، وما وعد الله به للمجاهدين من الجنة ونعيمها .

وقد اتخذت كل فرقة دينية من الفرق التي ظهرت في زمن بني أُمية وقبل زمانهم خطيباً يعرض آراءها ويؤيدها بالحجج ويدعو إليها الناس ويدحض أراء

[1] حنا الفاخوري ،مرجع سابق، تاريخ الأدب العربي ، ص 318.

مخالفيه، ومن هذه الفرق فرقة أهل السنة والشيعة والمعتزلة والجبرية والقدرية و هذه الفرق الثلاث الأخيرة ظهرت في عهد بني أُمية. [1]

ومن عيون الخطب الدينية ما يروى من رأ الر سول- صلى الله عليه وسلم- حج في السنة العاشرة للهجرة حجة لم يحج غيرها و ّع فيها المسلمين وقد خرج لها في يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة وكان معه جمع عظيم يبلغ تسعين ألفاً ودخل مكة ضح ً ى ولما رأى البيت قال : اللهم زده تشريفاً ،وتعظيماً ، ومهابة،وبراً ثم طلف بالبيت سبعاً واستلم الحجر الأسود وصلى ركعتين عند المقام ثم شرب من ماء زمزم ثم سعى بين الصفا والمروة سبعاً راكباً على راحلته وفى الثامن من ذي الحجة توجه إلي منى فبات بها. [2]

وفى التاسع منه توجه إلى عر فة وهناك خطب خطبته الشريفة التي بيَّن فيها الدين كلهأّ ـه وفرعه قال:- صلى الله عليه وسلم : ((الحمد الله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . ومن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، واشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمداً عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى اللهو أحثكم على طاعته ، واستفتح بالذي هو خير .

[1]- محمد عبد القادر أحمد ، دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 1 ، (1405هـ - 1986م) ، ص 56.
[2]- الشيخ محمد الحضري بك ، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، (د.ت.ط)، ص 243

أمـا بعـد : يأيهـا النـاس أسـمعوا منـي أبـين لكـم ، فـأني لا أدري ، لعلـى لا ألقـاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا .

أيهـا النـاس : إن دمـائكم وأمـوالكم حـرام علـيكم إلـى أن تلقـوا ربكـم ، كحرمـة يـومكم هـذا فـي شـهركم هـذا فـي بلـدكم هـذا ،ألا هـل بلغـت ؟ اللهـم فاشـهد، فمـن كانـت عنـده أمانـة فليؤدهـا إلـى مـن ائتمنـه عليهـا ،إن ربـا الجاهليـة موضـوع وا ٍن أول ربـاً أبـدأ بـه ربـا عمـى العبـاس بـن عبـد الطلب ، وا ٍن دمـاء الجاهليـة موضـوعه و أول دم ابـدأ بـدم عـامر بـن ربيعـة ابـن الحـارث ، وا ٍن مـآثر الجاهليـة موضـوعة غيـر السـدانه والسـقاية .والعمـد قـود وشـبه العمـد مـا قتـل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير . فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيهـا النـاس : إن الشـيطان قـد يـئس أن يعبـد فـي أرضـكم هـذه ولكنـه رضـي أن يـُطـاع فيمـا سـوى ذلـك ممـا تحقـرون مـن أعمـالكم . أيهـا النـاس : إن النسـيء زيـادة فـي الكفـر يضـل بـه الـذين كفـروا يحلونـه عامـاً ويحرمونـه عامـاً ليواطئـوا عـدة مـا حـرم الله وا ٍن الزمـان قـد اسـتدار كهيئتـه يـوم خلـق الله السـموات والأض وا ٍن عـدة الشـهور عنـد الله اثنـا عشـر شـهراً فـي كتـاب الله يـوم خلـق الله السـماوات والأرض منهـا أربعـة حـرم ثلاثـة متواليـات وواحـد فـرد ، ذو العقـدة وذو الحجـة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق ، ألا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدٌ تكرهونه بيوتكم إلاَ بأذنكم ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعضلوهن * وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرٍّح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رز قهن وكسوتهن بالمعروف ، فإنما النساء عندكم عو آن لا يملكن لأنفسهن شيئاً أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله . فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً . ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.[1]

أيها الناس : إنما المؤمنون أخوة لا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ! فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده ، كتاب الله، وسنتي ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .

يأيها الناس إن ربكم واحد ، وا ن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي فضل علي عجمي إلا بالتقوى إلا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

أيها الناسإن الله قد قسّم لكلّ وارث نصيبه من الميراث ولا تجوز لوارث وصيته ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث ، الولد للفراش وللعاهر

* تعضلوهن : تمنعوهن من الزواج ، انظر مادة عضل في صحاح الجوهري ، ج5 ، ص243.
[1] الشيخ محمد الحضري بك ، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، ص 243- 244.

الحجر . ومن أدعى إلي غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً ، والسلام عليكم ورحمة الله)).[1]

ومن عيون الخطب الدينية خطبة الإمام على بن أبى طالب في ذم الدنيا قال فيها : ((أما بعد فان الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع وا ٍن الآخرة قد أقبلت وأشرفت بإطلاع ، وا ٍن المضمار اليوم والسباق غداً .ألا وا ٍنكم في أيام أمل من ورائه أجل ، فمن أخلص في أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضره أمله ومن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خصر عمله ، وأضره أمله . آلا فاعملوا لله في الرغبة ، كما تعملون له في الرهبة . آلا وا ٍني لم أر كالجنة نام طالبها ، وكالنار نام هاربها آلا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يجر به الضلال . ألا وا ٍنكم قد أمرتم بالظعن ، ودللتم على الزاد ، وا ٍن أخوف ما أخاف عليكم إتباع الهوى وطول الأمل)). [2]

ولسيدنا عمر بن الخطاب خطبة في ذم الدنيا يقول فيها ((إنما الدنيا أمل مخترم ، وأجل منقض ، وبلاغ إلى دار غيرها وسير إلى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله أمرءاً فكر في أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه ، واستقال ذنبه وبئس الجار الغني يأخذك بما لا يعطيك من نفسه فإن أبيت لم يعذرك ،

[1] الشيخ محمد الحضري بك ، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، ص 244.
[2] الجاحظ ، البيان والتبين ، ج 2 ، ص 52.

لإياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ، و مؤدية إلى السقم ، وعليكم بالقسط في قوتكم فهو أبعد من السرف وأصح للبدن ، وأقوى على العبادة ، ، وان العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه)) [1]

وتدخل في الخطب الدينية خطب الجمعة والعيدين ، ومن ذلك أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- عندما هاجر من مكة إلى المدينة أدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف وكانت هذه الجمعة أول جمعة جمعها الرسول- صلى الله عليه وسلم- فخطب في هذه الجمعة ، وهى أول خطبة خطبها في المدينة فيما قيل ، قال: ((الحمد لله أحمده و استعينه واستغفره و استهديه، وأؤمن به ولا أكفره وأعادى من يكفره ، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة ، على فترة من الرسل ، وقلة من العلم وضلالة من الناس ، و انقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة وقرب من الأجل ، ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصيهمافقد غوى وفرط ، وضل ضلالاً بعيداً ، أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم ، أن يحضه على الآخرة ، و أن يأمره بتقوى الله ، فلْحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا فضل من ذلك ذكراً ، لإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه ، عون صدق على ما تبقون من أمر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر

[1] السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ، ج 2 ، ص 115.

والعلانيــة ، لا ينـوى بـذلك إلا وجــه الله يكـن لــه ذكـراً فـيعاجـل أمـره ، وزخـراً فيمـا بعـد المـوت ، حـين يفتقـر المـرء إلـى مـا قـدم ، ومـا كـان مـن سـوى ذلـك يـود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد .[1]

والذي صدق قوله ، وأنجز وعده لا خلف لذلك، فإنه يقول عز وجل

چ چ[2]

اتقـوا الله فـي عاجـل أمـركم وآجلـه فـي السـر والعلانيـة فإنـه مـنيتـقِ الله يكفـر عنــه سـياته ، ويعظـم لــه أجـره ، ومـن يتـقِ الله فقـد فـاز فـوزاً عظيمـاً . إن تقـوى الله تـوقي مقتــه ، وتـوقي عقوبتــه ، وتـوقيسـخطه ، وا ِن تقـوى الله يبـيض الوجـوه ، ويرضــى الـرب ، ويرفـع الدرجـة. خـذوا بحظكـم ، ولاتفرطـوا فـي جنـب الله ، قــد علمكــم الله قتــالهم ، ونهــج لكــم ســبيله ، لــيعلم الــذين صــدقوا ويعلــم الكــاذبين فأحســنوا كمــا أحســن الله إلــيكم ، وعــادوا أعدائــه وجاهــدوا فــي الله حــق جهـاده وهـو اجتبـاكم وسـماكم المسـلمين ، ليهلـك مـن هلـك عـن بينـة ويحيـا مـن حيـا عـن بينـة ولا قـوة إلا بـالله ، فـأكثروا ذكـر الله وأعملـوا إلـى مـا بعـد المـوت ، فأنـه مـن يصـلح مـا بينــه وبـين الله يكفيــه الله مــا بينــه وبــين النــاس ، ذلـك بـأن الله يقضــى علــى النــاس ولا يقضــون عليــه ، يملـك مــن النــاس ولا يملكــون منــه ، الله أكبــر ولا قوة إلا بالله العظيم !))[3].

---

[1]- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ط2 ، (1408هـ - 1988م) ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ج2 ، ص 7 .
[2]- سورة ق الآية 29.
[3]- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج2 ، ص 8.

وقد كان أسلوب النثر الديني الذي جاء به محمد- صلى الله عليه وسلم – موضع تقديس العرب ومن ثم لم يجرؤ أحدٌ على مضاهاته والنسج على منواله.[1]

وها هو الرسول صلى الله عليه وسلم – يخطب بسهولة ألفاظه يقول : ((أيها الناس افشو االسلام واطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلو ا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)). [2]

[1] عبد الحليم النجار ، تاريخ الأدب العربي ، ط 5، ج1 ، (د.ت.ط)، ص 256.
[2] أبو هلال العسكري ، أبو الحسن بن عبد الله ، الصناعتين ، تحقيق مفيد جميحة ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1984م ، ص 286.

المبحث الثاني

الداع السياسي

من دواعي الخطابة في هذا العصر الإسلامي الداعي السياسي وقد ظهرت في هذا العصر الخطابة السياسية ولكنها تعد محدودة إذا ما قورنت بسابقاتها ، وقد اتخذت مظاهر متعددة . فكان الخليفة إذا بويع قام في المسجد يبين للمسلمين خطته ويوضح لهم سياسته . [1]

مثل ما فعل أبو بكر الصديق – رضي الله عنه - بعد البيعة العامة ، إذ قام في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال : (أما بعد أيها الناس ، فإنيقد وليت ُعليكم ولست ُبخيركم ، فإن أحسنت ُ فأعينوني ، وأن أسأت ُ فقومني . الصدق أمانة ، والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندي حتى أريح عليه حقه وا ٍن شاء الله والقوى منكم الضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إنشاء الله . لا يدع احد منكم الجهاد في سبيل الله ، فإنه لم يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء .

أطيعوني ماطأعت ُالله ورسوله ، فإن عصيت ُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم فقوموا إلى صلاتكم رحمكم الله) [2]

---

[1]- محمد عبد القادر أحمد ، دراسات في أدب و نصوص العصر الإسلامي ، ص 56.

[2]- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج2 ، ص238، كما ورد نص للخطبة مطابق لنص هذا في سيرة بن هشام ، تعليق طه عبد الرؤوف ، ج4 مكتبة الرياض ، (د.ت.ط) ، ص 228.

ومثل ذلك فعل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - لما بويع إذ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ،ثم ذكر الناس بالله عزوجل واليوم الآخر، ثم قال : ((أيها الناس إنيقد وليتُ عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم و أقواكم عليكم و أشدكم نضلاعاً لما ينوب من مهم أموركم ، وما توليتُ ذلك منكم ، ولكفى عمر مهماً محزناً انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف أخذها ؟ ووضعها أين وضعها ؟ وبالسير فيكم كيف أسير ؟ فربى المستعان ، فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأيده)). ثم خطب فقال : ((إن الله عز وجل قد ولانيأمركم ، وقد علمتُ أنفع ما بضرتكم لكم ؛ وا إني اسأل الله إن يعينني عليه ، وأن يحرسني عنده ، كما حرسنيعند غيره ، و أن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمر به وأنى أمرؤ مسلم وعبد ضعيف ، إلا ما أعان الله عز وجل ، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله أنما العظمة لله عز وجل، وليس للعباد منها شيء ، فلا يقولن أحد منكم أن عمر تغير منذ ولي . أعقل الحق من نفسي وأتقدم ، وبلين لكم أمر ي ، فايما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة أو عتب علينا في خلق ؛ فليدنى ، فإنما أنا رجل منكم ، فعليكم بتقوى الله فى سركم وعلانيتكم ، وحرماتكم و فراضكم و عطوا الحق من أنفسكم ! ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إلىّ فإنه ليس بيني وبين احد من الناس هوادة

وأنـا حبيـب إلـى ّ صـلاحكم ، عزيـز علـى ً عتـبكم ، وأنـتم أنـاس عـامتكم حضـر فـيبـلاد الله ؛ و أهـل بلـد لا زرع فيـه ولا ضـرع إلا مـا جـاء الله بـه إليـه . إن الله عـز وجـل قـد وعـدكم كر امـة كثيـرة ، وأنـا مسـئول عـن أمـانتي ومـا أنـا فيـه ، ومطلـع علـى حضـرتي بنفسـي إن شـاء الله ، لا أكلـه إلـى أحـد ؛ ولا أسـتطيع مـا بعـد منـه إلا بالأمنـاء و أهـل النصـح مـنكم للعامـة لسـت أجعـل أمـانتي إلـى أحـد سـواهم إن شاء الله.[1]

ولمـا بـايع أهـل الشـورى سـيدنا عثمـان ، خـرج وهـو أشـدهم كآبـة ، فـأتي منبـر رسـول الله- صـلى الله عليـه وسـلم- فخطـب النـاس، فحمـد الله وأثنـي عليـه وصـلى علـى نبيـه- صـلى الله عليـه وسـلم- وقـال : ((إنكـم فـي دار قلعـة ، فـي بقيـة أعمـار ، فبـادروا أجيـالكم بخيرمـا تقـدرون عليـه ؛ فلقـد أتيـتم ، صـبحتم أو مسـيتم ؛ آلا وإن الـدنيا طويـت علـى الغـرور . فـلا تغـرنكم الحيـاة الـدنيا، ولا يقـرنكم بـالله الغـرور اعتبـروا بمـن مضـى ، ثـم جـدوا ولا تقفلـوا فإنـه لا يقفـل عـنكم . أيـن بأنـاء الـدنيا وإخوانهـا الـذين آثاروهـا وعمرو هـا ، ومتعـوا بهـا طـويلاً ؛ ألـم تلفظهـم ؟ رأمـوا بالـدنيا حيـث رمـى الله بهـا ، و أطلبـوا الآخـرة ، فـان الله ضـرب لهـا مـثلاً وللـذي هـو خيـر ، فقـال عـز وجـل چ

چ [2]

[1]- ابن هشام ، أبو محمد بن عبد الملك بن هشام المعارفي ، السيرة النبوية ، تعليق طه عبد الرؤوف ، مكتبة الرياض الحديثة (د.ت.ط)، ص 573.

[2]- سـورة الكهـف الايـة 45

واقبل الناس يبايعونه.[1]

وولى على الخلافة من بعده والفتنة تموج بالناس وطلحة والزبير والسيدة عائشة يؤلبون عليه أهل البصرة ومعاوية يؤلب أهل الشام ، فاصطدم بهم جميعاً وانتقل إلى الكوفة يجمع الناس ويحاربهم.[2]

وانتصر على الثلاثة الأولين ، ودخل معاوية في حرب صفين ، ثم كانت خدعة التحكيم ، وخرج عليه فريق من جيشه ، وهو في كل ذلك يخطب واعظاً حيناً وداعياً إلى جهاد خصومه حيناً آخر وكان خطيباً مفوهاً لا يشق له غبار ، ومن الطبيعي أن تكثر خطبه في حروب خصومه ، وقد ظل نحو أربع سنوات يجاهدهم ويخطب في أصحابه حثاً إياهم على الجهاد ، ومن قوله في خطبة له بآخرةمن أيامه وقد تقاعس بعض جنده و أخذت جنود معاوية تغير على أطراف العراق [3]

فأغار سفيان بن عوف الأ دي ثم الغامدي على الأنبار وقتل حسان بن حسان البكري عامل علي هناك وخرج علي - رضي الله عنه - حتى جلس على باب السدة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال : (أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل ، وشمله البلاء ، ولزمة الصغار وسيم الخسف ، و منع النصف . ألا وإني قد

[1]- الطبري ، تارخ الأمم والملوك ، ج2 ، ص 575.
[2]- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ج2 ، ط4 ، دار المعارف بمصر ، 1963م ، ص 126.
[3] شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ص 126

دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً وقلتُ لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم ، فو الله ماغزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم ، وثقل عليكم قولي وتخذتموه وراءكم ظهرياً ، حتى شنّت عليكم الغارات . هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقتل حسان أو ابن حسان البكري، و أذال خيلكم عن مسالحها، وقتل منكم رجالاً صالحين ، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأه المسلمة والأخرى المعاهدة ، وينزع حجلها وقلبها ورعاثها ثم انصرفوا وافرين ما كلم رجل منهم كلاماً ، فلو أن أمرئي مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ، ما كان به عندي ملوماً بل كان به عندي جديراً ويا عجباً من جدّ هؤلاء القوم في باطلهم ، وفشلكم عن حقكم . فقبحاً لكم وترحا ، حين صرتم هدفاً يرمى ، وفيئاً ينتهك ، يغار عليكم ولا تغيرون ، وتُغزون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون ؛ فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرب قلتم حمارة الغيظ أمهلنا ينسلخ عنا الحر وإذا أمرتكم بالسير في البرد قلتم أمهلنا ينسلخ عنا القر .كل ذا فراراً من الحر والقر . فإذا كنتم من الحر والقر فأنتم والله من السيف أفر ، يا أشباه الرجال ولا رجال وأيا أحلام لأطفال عقول ربات الحجال.

وددتُ أن لله قد أخرجني من بين ظهر انكم وقبضني إلى رحمته من بينكم . والله لو وددتُ أني لم أر كم ، ولم أعرفكم معرفة والله جرتُ ندماً . وقد ورمتم

صدر يغيظاً وجر عتمونلليموت أنفاساً ، وأفسدتم على ّ رأي بالعصياتوالخز آن حتى قالت قريش : أن ابن أبى طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم ،وهل منهم أحد اشد لها مراساً أو أطول لها تجربة منى ؟ لقد مارستها وما بلغت العشرين ، فها أنا ذا قد نفيت على الستين ولكن لا أر لمن لا يطاع)).[1]

ومن الخطابة السياسية خطابة الوفود بين يدي رسول الله- صلى الله عليه وسلم – مثل وفد بني تميم الذي قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم – بغرض المفاخرة فأذن الرسول- صلى الله عليه وسلم- لخطيبهم ، فقام إليه عطارد بن حاجب ، فقال : ((الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً و هبلنا أموالاً عظاماً نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز ّ أهل المشرق وأكثرهمعدداً و أيسرهم عدة ، فمن مثلنا في الناس ؟ ألسنا برؤوس الناس وأولى فضلهم ؟ فمن يفاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ، وا إنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكن نحيا من الإكثار فيماأعطانا ، وا إنا نعرف أقوال هذا الآن تأتون بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس)) .

فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم – لثابت بن قيس بن شماس أخى بالحارث بن الخزرج : قم فأجب الرجل في خطبته . فقام ثابت فقال : ((الحمد

[1]- الجاحظ ، البيان والتبين ، ج 2 ، ص 45، ورد هذا النص بشكل يكاد يكون مطابق في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق عبد الستار ، دار الثقافة بيروت ، 1959م ، ج16 ، ص201.

الله الـذي خلـق السـموات والأرض خلقـه قضـى فـيهن أمـراً ، ووسـع كرسـيه علمـه ، ولـم يـك شـيء قـط إلا مـن فضـله ثـم كـان مـن قدرتـه أن جعلنـا ملوكـاً واصـطفى مـن خيـر خلقـه رسـولاًأكـرمهم نسـباً وأصـدقهم حـديثاً و أفضـلهم حسـباً فـأنزل عليـه كتابـه ، ائتمنـه علـى خلقـه فكـان خيـرة الله مـن العـالمين ، ثـم دعـا النـاس إلـى الإيمـان ، فـآمن برسـول الله المهـاجرون مـن قومـه وذوي رحمـه، أكـرم النـاس أنسـاباً و أحسـن النـاس وجوهـاً ، وخيـر النـاس فعـلاً ، ثـم كـان أول الخلـق إجابـة استجاب الله حـين دعـا رسـوله- صـلى الله عليـه وسـلم نحـنُ ، فـنحنُ أنصـار الله ووزراء رسوله ، نقُاتلالنُاس َ حتى يؤمنوا بالله ِ . [1]

المبحث الثالث

الداعِ المحفلي

[1]- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج2 ، ص 188- 189.

عرف العرب من قديم هذا اللون من الخطابة إذ كانوا يقدمون على ملوكهم وأمرائهم ، فيخطبون بين أيديهم مثنين عليهم ، ومفاخرين بقبائلهم وكانوا يخطبون في أقوامهم مصلحين بين العشائر أو المنافرين أو حاثين على الحرب أو داعين لأن تضع أوزارها وكثيراً ما خطبوا في الأسواق وفي عقد المصاهرات . ونراهم بعد فتح مكة يقدمون على الرسول صلى الله عليه وسلم – زرافات يتقدمهم خطباؤ هم . ولا نتقدم في عصر بني أُمية حتى تنشط هذه الخطابة نشاطاً واسعاً ، وكان مما أذكى جذوتها في نفوسهم إن الأمويين وولاتهم فتحوا أبوابهم للعرب ، كي يطمئنوا إلى حسن ولائهم لدولتهم ، وكانت وفودهم تمثل بين أيديهم ، وكانوا يغدقون عليها أغداقاً واسعاً .

ومعاوية بن أبي سفيان هو أول من فتح أبوابه على مصرعيها إلى تلك الوفود فكانت ترد تباعاً إلى ساحته ، تعلن تارة ولاءها وتارة تعلن ظلامه لها ، وهو دائم الحفاوة بها واتبعه الخلفاء الأمويون من بعده يستتون سنته ممن أشتهر بالخطابة بين يديه سحبان ، خطيب وائل ، وقد أشتهر بخطبته (الشوهاء) التي خطب بها عنده.[1]

فلم ينشد شاعراً ولم يخطب خطيباً و قد كان أذكر الناس لأول كلامه وأحفظهم لكل شيء أسلف من منطقه . وقد نشأ سحبان في الجاهلية بين قبيلة وائل ،

[1]- شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى ، ص 428.

ولمـا ظهـر الإسـلام أسـلم وتغلبـت بـه الأحـوال حتـى ألتحـق بمعاويـة فكـان يعـده للملمات. [1]

قـدم علـى معاويـة وفـدٌ فطلـب سـحبان ليـتكلم فقـال أحضـروا لـي عصـا ، قـالوا :ومـا تصـنعوا بهـا و أنـت فـى حضـرة أميـر المـؤنين ؟ قـال : مـا كـان يصـنع بهـا موسـى وهـو يخاطـب ربـه فضـحك معاويـة وأمـر لـه بإحضـارها ، ثـم خطـب مـن صـلاة الظهـر إلـى أن حانـت صـلاة العصـر، مـا تتحـنجلا سـّ ـعل ولا توقـف ولا تلكـأ ولا ابتـدأ فـي معنـى وخـرج منـه ، وقـد بقـى منـه شـيء ، فمـا زالـت تلـك حالـة حتـى دهـش منـه الحاضـرون فقـال معاويـة : أنـت أخطـب العـرب ، قـال سـحبان والعجم والجن والأنس [2]

وكـان سـحبان إذا خطـب يسـيل عرقـاً ، ومـات فـي خلافـة معاويـة سـنة 54 هجريـة ممـا يـؤثر مـن خطبـه قولـه : ((إن الـدنيا دار بـلأغ والآخـرة دار قـرار ، أيهـا النـاس: فخـذوا مـندار ممـركم لـدار مقـركم ولا تهتكـو ا أسـتاركم عنـد مـن لا تخفـى عليـه أسـراركم ، وأخرجـوا مـن الـدنيا قلـوبكم ، قبـل أن تخرجـوا منهـا أبـدانكم ففيهـا ححيـتم ، ولغيرهـا خ ُلقـتم)). أن الرجـل إذا هلـك قـال النـاس : مـا تـرك ؟ قالت الملائكة :ما قدم ؟ قدموا بعضاً يكن لكم لا تخلفوا كلاً يكن عليكم)) .

[1]- الجاحظ ، البيان و التبين ، ج1 ، ص228- 348.
[2]- السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ص 120-121.

ومن خطباء المحافل الأحنف بن قيس خطيب تميم الذي لا يُدافع واسمه صخر وقيل ضحاك ولُقِّب بالأحنف لحنفٍ كان في رجليه جميعاً [1]

وقد كان يجاهر برأيه في رفق ومن خير ما يمثل ذلك كلمته عقب الوفود التي أستقدمها معاوية للبيعة لابنه يزيد ، فإنه حين جاء دوره في الكلام قال : ((يا أمير المؤمنين أنت أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلانيته ومدخله ومخرجه فان كنت تعلمه لله رضاً ولهذه الأمة فلا تشاور الناس فيه ،وا إن كنت تعلممنه غير ذلك فلا تزوده الدنيا و أنت تذهب إلى الآخرة [2]

وكأنه لم يكن يرضى خلافة يزيد ، فدخل إلى تصويرر أيه هذا المدخل ، وبعد وفاة يزيد أضطر ّ عبيد عبد الله بن زياد إلى مغادرة البصرة وسلم أموالها إلى الأزد وزعيمها مسعود ، وتثوروا تميم فتقتله ، وتنشب الحرب بينهما وبين الإ د، ويقع بعض الصرعى ، فيدخل الأحنف ، ويحقن الدماء بين الطرفين، مؤدياً ديات القتلى من ماله ، ونراه قبل ذلك في واقعة الجمل يقف موقف الحياد من خصومه علي و السيدة عائشة وطلحة والزبير ، ومعه أربعة الآف سيف من قومه أُغمدت استجابة لرأيه حتى إذا انتصر علّ دخل هو مشايعوه من تميم في طاعته وكان معاوية وولاته وخاصة زياد يكبرونه إكباراً عظيماً ، ونراه

[1]- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ص 431.
[2]- ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين ، ط3 ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1963م ، ج4 ، ص 370.

يصبح سفيراً لقومه لدى معاوية ، فهو يفد عليه من حين إلي حين ، ويوسع له في مجالسه ، بل كان يختصه بالجلوس في جواره على سريره .[1]

ونحن لا نقرأ خطبه التي كان يلقيها بين أيدي الخلفاء ، حتى يروعنا منطقه ، لقدرته على حوك الكلام وتوشيته أحياناً بالسجع وأساليب التصوير . ولم يكن يطيل في هذه الخطب بل كان يعمد إلى الإيجاز والكلم القصار ، فيبلغ بها كل ما يريد من حاجته وحاجة قومه . فقد وفد إلى معاوية مرة ، فقال : يصف أهل البصرة وما يؤملونه في الخليفة من مد يد العون والمساعدة .(يا أمير المؤمنين أهل البصرة عدد يسير وعظماً كسير ، مع تتابع مع المحول و تصالاً من الذحول * فالمكثر فيها قد أطرق * [2]

والمقل قد أملق ، فان رأي أمير المؤمنين أن ينعش الفقير ويجير الكسير ، ويسهل العسير ، ويصفح عن الذّحول ويداو ي المحول ، ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء وني يل الأواء.[3]

وحين أدلهم الأمر بعد وفاة يزيد بن معاوية باصتدام الأذد بقبيلة تميم ، فقد توجه إلى الأولين وقال بعد أن حمد الله وصلى على نبيه : ((يا معشر الإ د وربيعة أنتم أخواننا في الدين وشركاؤنا في الصهر وأشقاؤنا في النسب وجيراننا في الدار ويدنا على العدو والله لأ د البصرتحلّب ً إلينا من تميم الكوفة

---

[1]- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي، ج2 ، ص432.

* الذحول الثاءات ، الجوهري تاريخ اللغة وصحيح العربية ، ج4 ، ص170.

* أطرق هزل وضعف مادة طرق ، لسان العرب بن منظور الأفريقي ج10 ، ص 218.

[2]- الحصر القيرواني ، أبو إسحاق إبراهيم ، زهر الأدب وثمة الألباب ، القاهرة ، 1954م ،ج1 ، ص46.

[3]- الحصر القيرواني ، ابو إسحاق إبراهيم ، زهر الأدب وثمة الألباب ، ص47.

ولأزد الكوفة أحب ّ إلينا من تميم الشام فإن استشرى شنآنكم ، وأبى حسك صدوركم ففي أموالنا وأحلامنا سعة لنا ولكم)).

ونزلت هذه الكلمة على الأذ برداً وسلاماً فأغمدت الأسنة وحقنت الدماء.[1]

وعلى هذا النحو تمضى خطابة المحافل إذا كان الخطيب يروى فيها طويلاً حتى يروق لفظه الخليفة ومن بحضرته ، وربما جعلهم ذلك يسجعون في خطاباتهم حتى خلبوا الألباب وحسن بيانهم ، وبلغ إحسانهم بمنطقهم إن كان شباب الكتاب في دواوين دمشق يحضرون مقاماتهم حريصون على استماعهم[2] .

ومن خلال هذا الفصل الذي شمل الداعي الخطابية المتباينة بين الدين والسياسة والمحافل ، حيث تدرجت فيها الخطابة بتطورٍ في إستخدام المفردة و الألفاظللمتبعه ، وا ٍن اسلوب النثر الديني كان موضع تقديس العرب و من ثم لميجرؤ أحدٌ على مضاهاته و النسج على منواله ، وكذلك في الخطب السياسية ، أما الخطب المحفلية يروى فيها السجع و البيان حتى خلبوا الالباب بحسن بيانهم .

المبحث الأول: الخطابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

[1]- الجاحظ ، البيان والتبين ، ج2 ، ص 135.
[2]- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ج2 ، ص 429.

على هدى القرآن الكريم كان محمد – صلى الله عليه وسلم – يخطب في العرب ليخرجهم من ظلمات الوثنية إلى نور الهداية السماوية ، وقد أُتي من اللسن والفصاحة ما ملك به أزمة القلوب، وكأنما كانت المعاني والأساليب موقوفة بشخوصها بين يديه ، ليختار منها متلهش ُ له الأسماعُ صْ فَي له الأفئدة . وقدظلّ طول مكثه بمكة يتلو على قريش ومن يلقاه في الأسواق كتاب اللهحيناً وحيناً آخر كان يخطب في نفس معاني القرآن الكريم المكية متحدثاً عن رسالته ،وداعياً إلى وحدانية الله ،مبيناً أنه يهيمن على الناس في أعمالهم وأنه سيبعثهم يوم القيامة ليجزي بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً ، حتى إذا انتقل إلى المدنية فرضت الخطابة في صلاة الجمعة والأعياد ثم في مواسم الحج . وكان ما يزال يخطب في الأحداث التيتُ لم غير أن كتب الأدب والتاريخ لم تحفظ من هذا التراث القيم إلا – بأطراف قليلة ، ولعل مرجع ذلك إلى طول المسافة بين خطبه وعصر التدوين فضاعت أو سقطت من يد الزمن إلا بقايا قليلة وأكثر هذه البقايا مما خطب به – صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة ، وهو فيها يتطابق مع أي القرآن الكريم ، التي كانت تتنزل عليه، إذ نراه تارةواعظاً وتارةمشرعاً وقد يجمع بين الطرفين في نسيج بلاغي رائع[1].

[1]- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ج2 ، ص 114- 115.

ونحن نسوق هنا أول خطبة خطبها – صلى الله عليه وسلم – بالمدينة وذلك أنه لما هاجر من مكة إلى المدينة ، أدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف وكانت هذه الخطبة أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم – في الإسلام ، فخطب في هذه الجمعة فقال : ((الحمد لله أحمده و استعينه ، واستغفره ، و استهديه ، وأؤمن به ولا أكفره ، وأعادي من يكفره وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة ، على فترة من الرسل، وقلة من العلم وضلالة من الناس و انقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصيهما فقد غوى وفرط ، وضل ضلالاً بعيداً . وأوصيكم بتقوى الله ، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلمَ ، أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكراً وا ٍن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه ، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ، من يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية ، لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً في عاجل أمره وذخراً فيما بعد الموت ، حين يفتقر المرء إلى ما قدم ، وما كان من سوي ذلك يودَّ لو أن بينهما وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ،

واللهروؤف بالعباد ، والذي صدق قوله ، وأنجز وعده ولا خلف لذلك فإنه يقول عزوجل چ چ [1]

فتقوى الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم لهأجراً ، ومن يتق الله فقد فازفوزاً عظيما وا إن تقوى الله يوقي مقته ويوقي عقوبته، ويوقي سخطه ، إن تقوى الله يبيض الوجوه ويرضي الرب ، ويرفع الدرجة. خذوا بحظكم ، ولا تفرطوا في جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ، ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين . فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينه ، ويحيى من حيى عن بينه ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفيه الله ما بينه وبين الناس ، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ، يملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم))[2]

إن هذه الخطبة المباركة من حيث لفظها قد جمعت من الهداية والرشد والتوجيه السديد ما جمعت وكانت مؤثر بليغ التأثير في النفوس .

والخطبة فيها دعوة منه – صلى الله عليه وسلم- إلى تقوى الله وطاعته ، وقد استخدم – صلى الله عليه وسلم- في الخطبةألفاظاً تدل على الهدى والرشاد

---

[1]- سورة ق الآية ٢٩

[2] - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج2 ، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان (1408هـ - 1988م)، ص 7 - 8.

مثـل (اسـتهديه و الهـدى و النـور و رشـد والموعظـة). كمـا اسـتخدم الفاظـاً تـدل على الضلال مثل(يكفره، يعصيهما ، غوى).

وفـي الخطبـة أيضـاً أسـاليب إقنـاع منهـا مـا جـاء علـى شـاكلة أُسـلوب الشـرط (مـن يطـع الله ورسـوله فقـد رشـد) ومنهـا مـا جـاء علـى شـاكلة الأمـر (أوصـيكم ، أحـذروا ، اتقـوا) كمـا اسـتخدم فيهـا الطبـاق (تقـوى ومعصـية) ، (رشـد ، وغـوى)، (السـر والعلانيـة) ، اسـتهل الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم خطبتـه بحمـد الله وطلـب العـون والمغفـرة ثـم بـين الغـرض مـن إرسـاله وهـو هدايـة النـاس، كمـا أكـد علـى أهميـة طاعـة الله ودعـا إلـى تقـوى الله فـي السـر والعلانيـة ، وخطبتـه تتضـمن قيمـة توجيهيـة فـي توجيـه النـاس لتحسـين علاقـتهم بخـالقهم والتنـوع فـي الأسـلوب لدفع الملل وإثبات القدرة على البلاغة .

ترقـى البلاغـة النبويـة إلـى أعلـى مـدارج الكمـال البشـري فـي حسـن التـأتي للمعـاني بـأدق مـا يمكـن أن تؤديـه المفـردات والجمـل مـن دلالات ومعـان تقـع فـي النفـوس موقعـاً بالغـاً مـن التـأثير مـا لا تنقضـي عجائبيـة ولا يـذهب بروائعـه ورونقـه مهمـا تقـادم العهـد وكثـرة التـرداد، إذا كـان مـن شـأن العـرب إن يتكلفـوا القـول صـناعة ، يحسـنها خطيـبهم وحكـيمهم فـإن الرسـول – صـلى الله عليـه وسـلم – قـد صـنعه الله علـى عينـه يرسـل الحـديث سـليقة إلهامـاً ،سـليماً ممـا يعتـري كـلام النـاس مـن خلـل أو اضـطراب ، أو عـين أو حصـر ، والجـاحظ خيـر

مـن وصـف بلاغـة – الرسـول- صـلى الله عليـه وسـلم – بقولـه: ((هـو الكـلام الـذي قـل عـدد حروفـه ، وكثـر عـدد معانيـه ، وجـل عـن الصـنعة ، ونـزه عـن التكلف ...)).

واسـتعمل المبسـوط فـي مواضـع البسـط والمقصـور فـي مواضـع القصـر، وهجـر الغريـب الوحشـي ورغـب عـن الهجـين السـوقي ... وهـو الكـلام الـذي ألقـى الله المحبـة عليـه وغشـاه بـالقبول ، وجمـع لـه بـين المهابـة والحـلاوة وبـين حسـن الإفهام وقلة عدد الكلام[1].

إن الغـرض مـن هـذه الخطبـة التـي خطبهـا رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم-إنهـا خطبـة دينيـة تشـريعية يبـين فيهـا الرسـول - صـلى الله عليـه وسـلم- كيـف يتجـه الإنسـان إلـى ربـه فـي سـره وعلانيتـه وتكـون تقـوى الله الهـدي وطريـق النجاح ،وا ٍن سعادة الإنسان في تقواه .

والخطبـة موعظـة رائعـة يسـتهلها الرسـول الكـريم-صـلى الله عليـه وسـلم- بتقريـر وحدانيـة الله وا ٍنـه أتـم نعمتـه علـى النـاس بإرسـاله إلـيهم كـي يخـرجهم ممـا هـم فيـه مـن غوايـة وضـلالة ويـدخلوا فـي رعايتـه الإلهيـة فـلا يعملـون عمـلاً بدونـه فإنـه يعلـم خائنـة الأعـين ومـا يسـتكن فـي الصـدور . والرسـول – صـلى الله عليـه

[1]- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، البيان والتبين ، ج2 ، دار الجيل ، بيروت ، ص 17.

وسلم- في كل ذلك يستوحي القرآن الكريم وآياته وهي تقف منارات في موعظته ويستمد من إشعاعاتها ما يضئ به كلامه[1].

وفي السنة التاسعة من الهجرة قدم على الرسول – صلى الله عليه وسلم – عطارد بن حاجب بن زرارة بن عادس التميمي في أشراف من بني تميم منهم الأقرع بن حابس التميمي ، والزبرقان بن بدر وغيرهم كثير، فلما دخل وفد تميم المسجد نادوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من وراء الحجرات أن أخرج إلينا يا محمد . فآذى ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا يا محمد، جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا قال : نعم أذنت لخطيبكم فليقل، فقام إليه عطارد بن حاجب فقال:(الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً ووهب لنا أموالاً عظاماً ، نفعل فيها المعروف ، وجلعنا أعز أهل المشرق وأكثرهم عدداً وأيسرهم عدة ، فمن مثلنا في الناس ؟ ألسنا برؤوس الناس و أولي فضلهم؟ فمن يفاخرنا فليعدد مثل ما عددنا وا إنا لفوشاءُ لأكثرنا الكلام ولكنا نحيا من الإكثار ، فيما أعطانا وا إنا نعرف أقول هذا الآن . لتأتونا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس)).[2]

[1]- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ص 116.
[2] المرجع السابق

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لثابت بن قيس بن شماس: أخي بحارث بن الخزرج . قم فأجب الرجل خطبته . فقام ثابن فقال : ((الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض خلقه قضي فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يك شيء قط إلا من فضله . ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفانا من خير خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان فآمن برسول الله المهاجرين من قومه وذوي رحمه أكرم الناس أنساباً ، وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس فعالاً ، ثم كان أول الخلق إجابة - استجاب لله حين دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله ، منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في اللهأبداً ، وكان قتله علينايسيراً ، أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم))[1].

إن الأمر في هذه الخطبة يقوم على الأدب التام بين المسلمين وأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وذلك في حضرته ، وقد اتسعت جنبات خطب الرسول - صلى الله عليه وسلم- بما أخذ يشرح للمسلمين ويرسم لهم من حدود دولتهم ونظم حياتهم التي ينبغي أن تقوم على الإخاء والمساواة والتعاون في سبيل الحق والخير ، وهو بتضاعيف ذلك يأخذهم بآداب رفيعة

[1]- أبو جعرف محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ص 189 – 190.

فـي السـلوك السـامي ،مبينـاً لهـم معـاني الإسـلام الروحيـة التـي تقـوم علـى معرفـة الله الواحد [1].

انتهجـت الخطبـة الأسـلوب الحجـاجيتـأثراً بـالقرآن الكـريم وقـد ألـزمتهم الحجـة حتـى أقـروا بـأن خطيـبهم أخطـب وشـاعرهم أشـعر مـن شـاعر الرسـول (صـلى الله عليـه وسـلم) وأصـواتهم أعلـى مـن أصـوات أصـحابه ، فلمـا ، فـرغ القـوم أسـلمواجميعـاً : وكـان الغـرض مـن هـذه الخطبـة أن يلـزم أصـحاب رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – الحجـة والبرهـان بـأن الإسـلام هـو الـذي يهـدي إلـى البـر والخيـر والإصـلاح ، وأسـلوبها أسـلوب حجـاجي وهـدفها هـدف دينـي دعـوي يـدعو إلى دخول الإسلام وانتهاج نهجهو اتباع رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

فهـاهو – صـلى الله عليـه وسـلم – عنـد فـتح مكـة ، وبعـد دخولهـا يقـف علـى بـاب الكعبـة ، ثـم يقـول : ((لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريك لـه ، صـدق وعـده ، ونصـر عبـده ، وهـزم الأحـزاب وحـده ، ألا كـل مثآ ة أو دم ، أو مـال يـدعى ، فهـو تحـت قـدمي هـاتين إلا سـدانه البيـت وسـقاية الحـاج. ألا وقتيـل الخطـأ مثـل العمد ، وفيهما الدية مغلظة مائة من الإبل ، منها أربعون في بطونها أولادها)).

يـا معشـر قـريش ، إن الله قـد أذهـب عـنكم نخـوة الجاهليـة وتعظمهـا بالآبـاء، النـاس مـن آدمو آدم خلـق مـن تـراب ثـم تـلا رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم- چ

[1]- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ص 106 .

ﭿ ﭾ ﭽ   ﭼ ﭻ ﭺ ﭹ ﭸ ﭷ ﭶ ﭵﭴ ﭳ   ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ
(1)

يـا معشـر قـريش ، و يـا أهـل مكـة ، مـا تـرون إنـيفاعـلُ بكـم ؟ قـالوا :خيـراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، ثم قال ((إذهبوا فأنتم الطلقاء)). (2)

هـذه الخطبـة مـن الخطـب العامـة حيـث أن الخطابـة فيهـا موجـه إلـى كـل النـاس ولا تكـاد تمـر مناسـبة، يحتـاج النـاس فيهـا إلـى التوجيـه والبيـان ، إلا ويقـوم الرسـول - صـلى الله عليـه وسـلم - بالنـاسخطيبـاً ، يـأمرهم وينهـاهم ويعظهـم ويذكرهم.

ولمـا أُعطـي رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم – مـا أعطـي مـن عطايـا حنـين فـي قـريش وقبائـل العـرب ، لـم يكـن فـي الأنصـار منهـا شـيء وجـد هـذا الحـي مـن الأنصـار فـي أنفسـهم حتـى كثـرت مـنهم القالـه ! حتـى قـال قـائلهم : لقـي والله رسـول- الله صـلى الله عليـه وسـلم – قومـه ! فـدخل عليـه سـعد بـن عبـادة فقـال : يـا رسـول الله إن هـذا الحـي مـن الأنصـار قـد وجـدوا عليـك فـي أنفسـهم لمـا صـنعت فـي هـذا ألفـي الـذي أصـبحت قسـمت فـي قومـكو أعطيـت عطايـا عظامـاً فـي قبائـل العـرب ولـم يكـن فـي هـذا الحـي مـن الأنصـار شـيء قـال : فـأين أنـت مـن ذلـك يـا سـعد فقـال: يـا رسـول الله والله مـا أنـا إلا مـن قـومي! قـال: فـأجمع لـي قومـك

1- سورة الحجرات الآية 13.
2- محمد رضى ، محمد رسول الله – صلى الله علية وسلم - ، ص 319، ورد نفس النص ، السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ص 109.

فـي الحظيـرة، فخـرج سـعد فجمـع الأنصـار فـي تلـك الحظيـرة ، فجـاءه رجـال مـن المهـاجرين فتـركهم فـدخلوا وجـاء آخـرون فـردهم ، فلمـا اجتمعـوا إليـه ، أتـاهسـعدٌ ، فقـال : قـد اجتمـع لـك هـذا الحـي مـن الأنصـار فأتـاهم رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – فحمـد الله وأثنـى عليـه بالـذي هـو لـه أهـل ثـم قـال : (يـا معشـر الأنصـار ، مقالـة بلغتنـي عـنكم وموجـودة وجـدتموها فـي أنفسـكم! ألـم آتكـمضـلالاً فهـداكم الله ، ووعالـة فأغنـاكم اللهوأعـداء ً فـألف بـين قلـوبكم ! فقـالوا بمـاذا نجيبـك يـا رسـول الله ، لله ولرسـوله المـن والفضـل ! قـال: أمـا والله لـو شـئتم لقلـتم ,ولصـدقتم ، أتيتنـامكـذباً فصـدقناكومخـذولاً فنصـرناك ،وطريـداً فآوينـاك ،وعـائلاً فآسـيناك ، وجـدتم فـي أنفسـكم يـا معشـر الأنصـار فـي لعاعـة فـي الـدنيا تألفـت بهـاقومـاً ليسـلموا ، ووكلـتم إلـى إسـلامكم أفـلا ترضـون ؟ يـا معشـر الأنصـار، أن يـذهب النـاس بالشـاة والبعيـر فترجعـوا برسـول الله إلـى رحـالكم ! فـو الـذي نفـس محمـد بيـده لـولا الهجـرة لكنـتأمـرا ً مـن الأنصـار ، ولـو سـلك النـاسشـعباً وسـلك الأنصـارشـعباً لسـلكت شـعب الأنصـار اللهـم أرحـم الأنصـار وأبنـاء الأنصـار وأبنـاء أبنـاء الأنصـار – فبكـي القـوم حتـى أخضـلت لحـاهم ،فقـالوا رضـينا برسـول اللهقسـماً وحظاً [1].

والخطبـة خيـر مثـال للحـوار العـاطفي حيـث خاطـب رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – عواطـف الأنصـار . وكـان – صـلى الله عليـه وسـلم – يتنقـل مـن

[1]- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ،ص 177

مثل هذه الخطب إلى تشريعات يتم بها قيام هذا المجتمع الإسلامي ويسود على كل ما حوله ، تشريعات قوامها مصلحة الجماعة وأن يعيش المسلم متعاوناً ومتضامناً في سبيل الخير وهو ما يستطيع عليه الجنة بنعيمها الخالد خير يكفل سعادة البشرية[1] .

هذه الخطبة تبين لنا أن الخطابة كانت لسان الدعوة وقد حلت بمنزلة كان الشعر يحتلها في الجاهلية والخطبة تمثل نموذجاً حياً للحوار العاطفي المؤثر الذي يظهر في قوله – صلى الله عليه وسلم- ((أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتهم)) ، وقول – صلى الله وسلم – ((وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا ، وقوله – صلى الله عليه وسلم – لو سلكت الناس شعباً وسلك الأنصار شعباًلسلكتُ شعب الأنصار ، اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، فكانت النتيجة إن استجاب الأنصار لهذا الحوار العاطفي المقنع وقالوا : رضينا برسول الله – صلى الله عليه وسلم- قسماً وحظاً)) وقد لجأ النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذه الخطبة إلى أسلوب الاستفهام ، أغضبتم يا معشر الأنصار ؟ أفلا يرضيكم ؟ يا معشر الأنصار ، ثم ذكر لهم فضل الدعوة الإسلامية عليهم وذكر بعد ذلك ، أفضال الأنصار عليهو أشاد بعظمة الأنصار ومنزلتهم في نفسه .

[1]- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ص 117.

ومن أروع ما يصور ذلك خطبته – صلى الله عليه وسلم – في حجة الوداع ، وذلك أن الرسول – صلى الله عليه وسلم حجّ في السنة العاشرة ودع فيها إلى المسلمين ولم يحج غيرها خرج لها في يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة وكان معه جمع عظيم يبلغ ألفاً ودخل مكة ضحى ، ولما رأى البيت قال : اللهم زده تشريفاً ،وتعظيماً ، ومهابةوبراً ، ثم طاف بالبيت سبعاً واستلم الحجر الأسود، وصلى ركعتين عند مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ثم شرب من ماء زمزم ، ثم سعى بين الصفا والمروةسبعاً راكباً على راحلته وفي الثامن من ذي الحجة توجه إلى منى فبات فيها وفي التاسع منه توجه إلى عرفة وهناك خطب خطبته المشهورة التي بين فيها الدين كله أسه وفرعه قال : صلى الله عليه وسلم - : ((الحمد لله نحمده ونستعينه وتستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهدوا ألا إله إلا الله وحده لا شريك لهوأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته ، واستفتح بالذي هو خير .

أما بعد: ((أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا)) .

أيهـا النـاس إن دمـاءكم وأمـوالكم حـرام علـيكم إلـى أن تلقـوا ربكـم كحرمـة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت؟ اللهم فأشهد .

فمـن كانـت عنـده أمانـة فاليؤديهـا إلـى مـن ائتمنـه عليهـا إن ربـا الجاهليـة موضـوع ، وأن أول ربـا أبـدأ بـه ربـا عمـي العبـاس بـن عبـد المطلـب ، وأن دمـاء الجاهليـة موضـوعة وأول دم أبـدأ بـه دم عـامر بـن ربيعـة بـن الحـارث ، وأن مـآثر الجاهليـة موضـوعة غيـر السـدانة [1] والسـقاية [2] والعمـد قـود وشـبه العمـد مـا قتـل بالعصـا والحجـر ، وفيـه مائـة بعيـر فمـن زاد فهـو مـن أهـل الجاهليـة ، أيهـا النـاس إن الشـيطان قـد يـئس أن يعبـد فـي أرضـكم هـذه ولكنـه قـد رضـي أن يطـاع فيمـا سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم [3].

أيهـا النـاس إن النسـيءز يـادة فـي الكفـر ، يضـل بـه الـذين كفـروا يحلونـه عامـاً ليواطئـوا عـدت مـا حـرم الله ، إن الزمـان قـد اسـتدار كهئيـة يـوم خلـق الله السـماوات والأرض ، وأن عـدة الشـهور عنـد الله اثنـا عشـر شـهراً فـي كتـاب الله يـوم خلـق السـماوات والأرض منهـا أربعـة حـرم ثلاثـة متواليـات وواحـد فـرد ذو القعـدة وذو الحجـة والمحـرم ورجـب الـذي بـين جمـادي وشـعبان الأ هـل بلغـت. اللهم فأشهد .

---

[1] السدانة : خادم الكعبة - المعجم الوجيز - مادة خدم – ص 307 .
[2] السقاية : تستقي الأرض والزرع – آله تدار على محور لرفع الماء إلى الحقل – المعجم الوجيز مادة سقى - ص 315.
[3]- الشيخ محمد الحضري بك ، نور اليقين ، في سيرة سيد المرسلين ، ص 243.

أيهـا النـاس إن لنسـائكم علـيكم حقـاً ، ولكـم علـيهن حـق . أن لا يـوطئن فرشـكم غيـركم ولا يـدخلن أحـداً تكرهونـه بيـوتكم إلا بـإذن ولا يـأتين بفاحشـة فـإن فعلـن فـإن الله أذن لكـم أن تعضـلوهن وتهجـروهن فـي المضـاجع وتضـربوهن ضـرباً غيـر مبـرح ، فـإن أنتهـين وأطعـنكم فعلـيكم رزقهـن وكسـوتهن بـالمعروف وإنمـا النسـاء عنـدكم عـوان ، ولا يملكـن لأنفسـهن شـيئاً ، أخـذتموهن بأمانـة الله واسـتحللتم فـروجهن بكلمـة الله ، فـاتقوا الله فـي النسـاء ، واستوصـوا بهـن خيـراً . ألا هل بلغت ؟ اللهم فأشهد .

أيهـا النـاس إنمـا المؤمنـون إخـوة لا يحـل لامـرئ مـال أخيـه إلا عـن طيـب نفس منـه . ألا هـل بلغـت ؟اللهـم فأشـهد .فـلا ترجعـوا بعـدي كفّـارا يضـرب بعضـكم رقـاب بعـض، فـإني قـد تركـت فـيكم مـا إن أخـذتم بـه لـن تضـلوا بعـده كتـاب الله ، وسنتي ألا هل بلغت ؟ اللهم فأشهد .

أيهـا النـاس ، إن ربكـم واحـد وإن أبـاكم واحـد كلكـم لآدم وآدم مـن تـراب ،إن أكـرمكم عنـد الله أتقـاكم ، لـيس لعربـي فضـل علـى أعجمـي إلا بـالتقوى ألا هل بلغت؟ اللهم فأشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب[1].

أيهـا النـاس إن الله قـقسّـم لكـلّ وارث نصـيبه مـن الميـراث ولا تجـوز لـوارث وصـية ولا تجـوز وصـية فـي أكثـر مـن الثلـث ، والولـد للفـراش وللعـاهر الحجـر

[1]- الشيخ محمد الحضري - نور اليقين ، ص 244 – 264 .

مـن إدعـى إلـى غيـر أبيـه أو أولـى غيـر مواليـه فعليـه لعنـة الله والملائكـة والنـاس أجمعين لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً والسلام عليكم ورحمة الله))[1].

هـذه الخطبـة كانـت جامعـة مانعـة ، أوضـح فيهـا رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم – حرمـة البيـت الحـرام ، والشـهر الحـرام وحرمـة دمـاء المسـلمين وأمـوالهم وحـرّم فيهـا الربـا ،وبـيّن الحقـوق والواجبـات بـين الرجـال والنسـاء. إلـى أن قـال – صـلى الله عليـه وسـلم – وقـد تركـت فـيكم مـا إن اعتصـمتم بـه فلـن تضلوا أبداً ، كتاب الله وسنة نبيه .

أيهـا النـاس ، أسـمعوا قـولي و اعقلـوه ، تعلمـون أن كـل مسـلم أخ للمسـلم ، وأن المسـلمين إخـوة فـلا يحـل لامـرئ مـن مـال أخيـه إلا مـا أعطـاه عـن طيـب نفس منه ، فلا تظلمون أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟ فأشهد)).

هكـذا ، فـإن الخطابـة كانـت لسـان الـدعوة وترجمانهـا حـين كـان التفـاخر ، والتبـاهي والنعـرات ، والعصـبيات الجاهليـة . فمـا كـان يفصـح عـن تلـك العواطـف الهوجـاء مثـل الشـعر امتـازت هـذه الخطبـة بالإيجـاز البليـغ لأنـه – صـلى الله عليـه وسـلم – أوتـي جوامـع الكلـم ، فكأنمـا الألفـاظ تقـف شاخصـة أمامـه ليختـار منهـا مـا يناسـبه ، كمـا ظهـرت منهـا لهجـة المـودع (لعلـي لا ألقـاكم) والاستفاضـة الواضحة من الفاظ القرآن الكريم .

[1]- الجاحظ ، البيان والتين ، ص 33.

ويحذر الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الشيطان وغوياته محرماً التلاعب بالأشهر الحرم ،واضعاً تقويماً قمرياً ، يتآلف من اثني عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ذو القعدة و ذو الحجة المحرم ورجب ، ويرفع من شأن المرأة ، ومعاني علاقتها بزوجها فيجعل لها حقوقاً وعليها واجبات ، وفي الطرفين جميعاً يحفظ لهما كرامتهما ،داعياً إلى التعاطف بينهما والتراحم والتعامل برفقوا إحسان ويعود إلى العلاقة بين الفرد وجماعتها لكبر ى من الأمة.

وهذه الخطبة وسابقاتهيصور ان دقة حسن منطق الرسول – صلى الله عليه وسلم – في خطباته ، وأنه لم يستعين فيها بسجع ولا بلفظ غريب ، فقد كان يكره اللونين جميعاً من الكلام لما يدلان عليه من التكلف والذي لا شك فيه أنه بعفوه وقوي فطرته ما تتقطع دونه رقاب البلغاء [1] .

إنه صلى الله عليه وسلم – استعمل المبسط في مواضع البسط والمقصور في مواضع القصر ، وهجر القريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمه ، لم يتكلم إلا بكلام قد ّ فبالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق هو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول.

[1]- شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي ، ص 120 .

وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ، مع استغنائه عن إعادته وقلة حاجة السامع إلى المعاونة [1] .

لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا يقحمه خطيب بالهذر الخطب الطوال بالكم القصار ولا يتلمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلاح إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ، ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أقصر لفظاً ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقفاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنى ، ولا أبين في فحوى ، من كلامه – صلى الله عليه وسلم – فهو الذي فتق معاني الخطابة الدينية التي لم يعرفها العرب قبله ، فهو الذي رسمها ، وفجر ينابيعها [2] .

ومن هنا كانت المحاولة في الدخول إلى ساحة البلاغة النبوية من خلال نص كريم غني بمعانيه السامية ومضامينه السديدة ، مسوغ بالأسلوب البليغ والأداء الدقيق .

فلنقف متأملين دلالات هذا النص البلاغية للكشف عن جماليات توظيف الفن البلاغي الذي يرد في الحديث النبوي بعيداً عن معاناة للصنعة والإقحام أو ابتغاء الحلية اللفظية التي لا غني عنها ، ومما حملني على هذا إني لأجد

---

[1]- الجاحظ - البيان والتبين ، ص 17

[2]- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي – ص 121

كبير عناية بالنصوص واحتفالها بتحليل صيغها وتراكيبها وبيان المواقع الدقيقة للفنون والأساليب البلاغية متميزة عن وجودها في كلام سائر الناس كي يقف القراء على لون من ألوان الفن البلاغي الخطابي الذي في الوقت ذاته موازنة ضمنية لتوظيف فنون البلاغة بقدرات تعلو حتى تبلغ حد الإعجازوا إسفاف يضئ تمثيل شكلي ورصف لفظي وفحواه فكري ... فالإيجاز في البلاغة القرآنية والنبوية غيره في موضع آخر ، وكذلك الإطناب ، فإن دلالته المعنوية والفنية غيرما توحي به هذه المظاهر في مواطن آخر قد يكون به حاجة إلى الإطناب أو لا يكون وهو في جميع الأحوال يكشف عن خللمر ئى ، أو محسوس به هنا وهناك في مواضع شتي من النص ومن هذه الخطبة يتحقق من خلال سوقها للعبارة الفنية المستوفية لكل متطلبات البلاغة ، ضمن ثلاثة مسارات ، وهي صفاء اللفظ ووفاؤهإفراداً وتركيباً . وضوح المعني وظهور المغذى ، رسائل التشويق والألفاظبعثاً للنشاطوا إجابة للداعي ومنها القولي ومنها الحسي [1].

يستهل الرسول – صلى الله عليه وسلم – خطبته بقوله ((أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا ...)) .

[1]- عزالدين علي السيد ، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية ، ص 60

ولهذا أول ما نلحظ هذا النداء القريب إلى النفوس إذا ستغني عن أداة النداء (يا) وغيرها تحقيقاً لهذا القرب والتلاحم مع أبناء الأمة الذين زالت الهو ة بينهم وبين معلمهم وهادئهم بأدق النداء وأعذبه ليستميل قلوبهم إلى ما يلقى عليهم من حسن التوجيه وسديد الإرشاد[1] .

(أسمعوا قولي) اسمعوا : فعل أمر وللأمر وجهتان في التعبير البلاغي حقيقي ومجازي وللمجازي أغراض متعددة ينبغي إن نحدد مدلول الأمر الحقيقي والمجازي لنتبين في أيالمسار ات تتجه هذه الصفة ، الأمر الحقيقي " صيغته موضوعة لطلب الفعل استعلاماً لتبادر الذهن عن سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة وا ِني أرجح أن الأمر في هذا الموضوع مجازي ، وذلك بدلالة

الاستهلال الرقيق ، فلا - يسوغ أن النداء يحل في تضاعيفه من معاني التودد والتلطف ثم يبعثه مباشرة بما يدل على الأمر خشية أن يقع ذلك في نفوس سامعيهموقعاً لا يرتضيه ولما يحصل من التفاوت بين الرقة والتلطف وبين الشدة التي يحملها الأمر الحقيقي .

[1]- القزويني – التلخيص في علوم البلاغة ، شرح وتحقيق عبد الرحمن البر قوني ، الطبعة الثانية ، الهامش ، ص 172.

أقول ذلك في غير أن يتبادر إلى الذهن أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا قبلا له بأن يأمر قومه بما يشاء فيطاع ، وهذه صورة تناغم بياني بين أجزاء المقطع وتلك خصوصية البلاغة النبوية الكريمة [1].

((فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا ...)) من الملاحظ في استخدام (إن) في هذا الموضوع إنها جاءت في عقب جملة سابقة فقد كان مجيء (إن)ضرباً من ضروب توثيق الجملتين لتوصل أحدهما بالأخرى ، فتراهما بعد دخولهما كأنها قد أفرغا من قالب واحد .

وقد جاء التوكيد في مقاطع الخطبة بأكثر من وسيلة وهي أداة التوكيد (إن) والتكرار وتقديم ما حقه التأخير والقصر وأدوات التحقيق والتوكيد (قد وكل) ومما جاءمؤكداً بأن ((إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ..))

((وا نكم ستلقون ربكم .....)))

((وا ن ربا العباس بن عبد المطلب ..)) . ((إن كل دم في الجاهلية موضوع ...))

((وا ن أول دمائكم .....)) .

وما جاء مؤكد بالتكرار : ((كحرمة يومكم هذا وحرمة شهركم هذا ..))

[1]- محمد محي الدين عبد المجيد ، الايضاح في علوم البلاغة ، ص 60

تصـور هـذه المقـاطع أداة التوكيـد ؛((إن)) التـي تتضـمن الإيصـال والتثبيـت وا ٍضـافة حسـم التـردد والشـك فـي القبـول والتلقـي . ولقـد ذهـب البلاغيـون إلـى أن اسـتخدام أداة توكيـد واحـدة ضـمن العبـارات هـو لحسـم الشـك والتـردد [1] وهـو خبر طلب إنكاري ابتدائي.

إن البيـان النبـوي قـد تـوخي الإيقـاع المتنـاغم الـذي يكسـب العبـارة جماليـة محبـة إلـى الـنفس مـن خـلال تـوالي (دمـائكم) أمـوالكم – علـيكم : إذن لا ننفـي هـذه الصـيغة الجماليـة التـي هـي مـن أجمـل البلاغـة النبويـة التـي اجتمعـت علـى صفات الخلوص والقصد والاستبقاء[2] .

[1]- كمال الدين الزملكاني – البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن الكريم ، ص 18 – 19
[2] - مصطفي صادق الرافعي – اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 373.

المبحث الثاني: الخطابة في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

أولاً : الخطابة في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنهما :

هو أبو بكر عبد الله بن عتيق بن أبي قحافة صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – و أول الخلفاء الراشدين يجتمع نسبه مع نسب رسول الله - صلى الله عليه وسلم – في مرة بن كعب ولد بعد مولد النبي – صلى الله عليه وسلم – بسنتين وبضعة أشهر ونشأ من أكرم قريش خلقاً ورأ جحهم حلماً ، وأشدهم عفة ، وكان أعلمهم بالأنساب وأيام العرب ومفاخرهم .

صحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل النبوة ، وكان أول من آمن به من الرجال وصدقه فيكلّ ما جاء به ،ولذلك سمي بالصديق هاجر معه إلى المدينة ، وشهد معه أكثر الغزوات ، وما زال ينفق ماله وقوته في معاضدته حتى انتقل صلى الله عليه وسلم – إلي الرفيق الأعلى[1].

وقد نوه القرآن الكريم بذكره فقال جل چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ چ[2] هو خير من يمثل المسلم بأخلاقه وفضائله وحميته للدين وتأثره بهدي القرآن الكريم ورسوله تأثراً استحوذ على كل نفسه فإذا

[1]- السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ، ج2 ، ص 111- 112.
[2]- سورة الليل ، الأية 4-7 .

لسانه يتدفق تدفق السيل ، بما استشعر من معاني الإسلام وقيمه الروحية وقد أُثرت عنه خطب كثيرة تدل دلالة واضحة على شدة شكيمته في الدين ويقظته وصدق حسه ، وأنه حق كان أجدر أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم - بخلافته [1].

كان فصيحاً بليغاً خطيباً مفوهاً قوي الحجة شديد التأثير لما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم – كان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه – في أرضه بالسنج فتواترت إليه الرسل فأتي وقد ذهل الناس فكانوا كالخرس ، وتفرقت أحوالهم واضطربت أمورهم فكذب بعضهم بموته – صلى الله عليه وسلم – وصمت آخرون وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وحق لهم ذلك للذرية العظمة لهم ذلك الذرية العظمى والمصيبة الكبرى التي هي بيضة العقر وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- ممن كذب بموت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وأما عثمان -رضي الله عنه - كان ممن أخرس فجعل لا يكلم أحداً فيؤخذ بيده فيجاء به فينقاد ، وأما على - رضي الله عنه – فلبط بالأرض فقعدوا لن يبرح البيت حتى دخل أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – وهو في ذلك جلد العقل والمقالة فأكب عليه ، وكشف عن وجهه ومسحه وقبل جبينه ، وبكى شديداً ، ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمراتهم وعظيم سكراتهم ، قام فخطب خطبة جلها الصلاة على النبي –

[1]- شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي ، ص 122 .

صـلى الله عليـه وسـلم – قـال فيهـا: ((أشـهد ألا إلــه إلا الله وحـده لا شـريك لــه وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسـوله ، وأشـهد أن الكتـاب كمـا نـزل وأن الـدين كمـا شـرع ، وأن الحـديث كمـا حـدث وأن المقـول كمـا قـال وأن الله هـو الحـق المبـين)) . ثـم قـال : ((أيهـا النـاس مـن كـان يعبـدمحمـداً فـإنمحمـداً قـد مـات ، ومـن كـان يعبـد الله فـإن الله حـي لا يمـوت ، إن الله قـد تقـدم إلـيكم فـي أمـره فـلا تـدعوهجزعـاً ، إن الله قد اختـار لنبيـه مـا عنـده علـى مـا عنـدكم وقبضـه إلـى ثوابـه ، وخلـف فيكم كتابـه ، وسـنة نبييـه فمـن أخـذ بهطـر ّف ، ومـفـر ّق بينهمـا أنكـر ، يأيهـا الـذين آمنـوا كونـوا قـوامين بالقسـط ، ولا يشـغلنكم الشـيطان بمـوت نبيـيكم ، ويفتتـنكم عـن دينكم ، فعالجوه بالذي تعجزونه ،ولاتستنكروه فيلحق بكم .[1]

ثـم أخـذ فـي بيـان غلـط مـن كـذبوا موتـهمحتجـاً علـيهم بمثـل قولـه تعـالى: چ

چ [2] وتـــلا قولـــه تعـــالى : چچ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ

ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ چ

[3] ثـــم تـــــلا چ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭﮮ

ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ چ [4]، فتـــاب مـــن كـــذبوا بموتـــه رضـــوان الله علـــيهم إلـــى

---

[1] - زهر الأدب – الحضري أبو اسحاق – المجلد الأول – ص 35 – 36

[2] - سورة الزمر - الآية 30

[3] - سورة آل عمران – الآية 144

[4] - سورة القصص – الآية 88

رشـدهم وحلـف رجـالاً مـن أصـحاب محمـد – صـلى الله عليـه وسـلم – أنهـم مـا علموا بالآيات نزلت حتى قرآها أبو بكر الصديق رضي الله عنه [1].

فقـام الحبـاب بـن المنـذر بـن الجمـوح فقـال : ((يـا معشـر الأنصـار أملكـوا علـيكم أمـركم ، ولـنيجتـر ئ مجتـريء علـى خلافكـم ، ولـن يصـدر النـاس إلا عـن رأيكـم أنـتم أهـلالعـز ّ والثـروة ، وأولـوالعـز ّ والمنعـة والتجربـة وأولـو بـأس والنجـدة ، إنمـا ينظـر النـاس إلـى مـا تصـنعون ولا تختلفـوا فيفسـد علـيكم رأيكـم، وينـتقض علـيكم أمـركم فـإن أبـى هـؤلاء إلا مـا سـمعتم فمنـا أميـر ومـنهم أميـر)). فقـال عمـر هيهـات لا يجتمـع اثنـان فـي قـرن . والله لا تـرض العـرب أن يـؤمروكم ونبييهـا في غيركم .

فقـال أبـو عبيـدة : يـا معشـر الأنصـار إنكـم أول مـن نصـر وآزر فـلا تكونـوا أول مـن بـدل وغيـر فقـال أبـو بكـر هـذا عمـر وهـذا أبـو عبيـدة فأيهمـا شـئتم فبـايعوا . فقـالا ولا والله لا نحـول هـذا الأمـر عليـك فإنـك أفضـل المهـاجرين وثـاني اثنـين إذ همـا فـي الغـار ، وخليفـة رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم – وأفضـل ديـن المسـلمين فمـن ذا ينبغـي لـه أن يتقـدمك أو يتـولى هـذا الأمـر عليـك أبسـط يـدك

[1] - شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي ، ص 122.

نبايعك فلما ذهب ليبايعوه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه ، ثم بايعته الأوس ثم بايعته أسلم ثم أقبل الناس من كلّ جانب يبايعوه[1].

ومن خطبته يتضح لنا أنه هو الذي اقنع الناس على أن يجتمعوا على رجل من قريش خوفاً على الأمة من الفرقة والطمع في الملك.

ولما بُويع أبي بكر في الثقيفه وكان الغد ، جلس أبو بكر علي المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبو بكر ، فحمد الله وأثني عليه بما هو أهله ثم قال : ((أيها الناس إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأي وما وجدتها في كتاب الله عاهده إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم – ولكني قد كنت أرى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – سيدبر أمرنا حتى يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله- صلى الله عليه وسلم – فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله ، وثاني اثنين إذ هما في الغار فقوموا فبايعوا)) .

فبايع الناس أبا بكر البيعة العامة بعد بيعة الثقفية ، ثم خطب أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال: ((أما بعد أيها الناس ، فأني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت

[1] - الطبري – تاريخ الملوك – المجلد الثاني – ص 243 ، وقد ورد نص الخطبة بشكل مختلف في جواهر الأدب ، ج2 ، ص 112.

فـأعينوني وا إن أسـأت فقومـوني الصـدق أمانـة والكـذب خيانـة ،و الضـعيف فـيكم قـوي عنـدي حتـى أريـح عليـه حقـه إن شـاء الله ، والقـوي مـنكم الضـعيف عنـدي حتـي آخـذ الحـق منـه إن شـاء الله ، لا يـدعأحـدٌ مـنكم الجهـاد فـي سـبيل الله ، فإنـه لا يدعـه قـوم إلا ضـربهم الله الـذل ولا تشـيع الفاحشـة فـي قـوم إلا عمهـم الله بـالبلاء ، أطيعـوني مـا أطعـت اللهو رسـوله فـإذا اعصـيت الله ورسـوله فـلا طاعـة لي عليكم قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله)) [1].

قـد بـين أبـو بكـر الصـديق رضـي الله عنـه – فـي هـذه الخطبـة أنـه لـيس بأفضـل المسـلمين ، ثـم فـتح البـاب للنقـد والثنـاء والمشـورة " إن رأيتمـوني علـى حـق فـأعينونيوا إن رأيتمـوني علـى باطـل فقومـوني " كمـا بينـت الخطبـة بعـده عـن الاستبداد والطغيان والتواضع لشعبه .

وأخـذت تتجلـى مواقفـه العظيمـة ومـآثره الكريمـة فـي أنـه أمـر أن يخـرج بعـث أسـامة إلـى جهـة مـن حـرب الـروم كمـا أمـر الرسـولوأسـتنّ سـنة الوصـية الجيـوش الفاتحـة ، وذلـك أن رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم – ضـرب قبـل وفاتـه علـى أهـل المدينـة ومـن حـولهم بعثـاً وفـيهم عمـر بـن الخطـاب أمـر ّ علـيهم أسـامة بـن زيـد فلـم يجـاوز أخـرهم الخنـدق وحتـى قـبض رسـول الله - صـلى الله

[1] - الطبري – تاريخ لأمم و الملوك ، ج2 ، ص 122 – 237 – 238، و اورد بن قتيبة عبد الله بن مسلم في عيون الأخبار ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية القاهرة ، وزارة الثقافة ، 1963م ، ج2 ، ص 234 نصاً مطابقاً ، كما أورد محمد يوسف الكاندهلوي في كتابة ، حياة الصحبة دار الوعي ، حلب ، ج2 ، ص 6 ، وأوردها كذلك حسن إبرهيم ، النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة ، ط 3 ، 1962 م ، ص 37.

عليه وسلم – فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر : أرجع إلى خليفة رسول الله - فأستأذنه ، يأذن لي أن أرجع بالناس ، فإن معي وجوه الناسوحدّ هم ولا آمن على خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم وثقل رسول اللهإ ثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون [1].

وقالت الأنصار نوا إن أبي إلا أن نمضي فأبلغه عنا ، وأطلب إليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة ، فخرج عمر يأمر أسامة وأتى أبو بكر فأخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر : لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فإن الأنصار أمروني أن أبلغك وأنهم يطلبون إليك أن تولي وأمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة ، فوثب أبو بكر وكان جالساً – فأخذ بلحية عمر ، فقال له : ثكلتك أمك وعدمتك يا بن الخطاب ، استعمله رسول الله ، وتأمروني أن أنزعه ، فخرج عمر بن الخطاب إلى الناس فقالوا : له ما صنعت ؟ فقال : أمضوا ثكلتكم أمهاتكم ! ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله ! ونادى منادي أبو بكر ليتم بعثة أسامة ألا يبقين بالمدينة أحداً من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجُرف وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : ((يا أيها الناس أنما أنا مثلكم ، إني لا أدري لعلكم ستكلفونني ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم – يطيق ، وأن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات وا إنما أنا متبع

[1] - شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي – مج 4 ، ص 123

ولست بمبتدع فإن استقمت فتابعوني وإن زغت فقوموني وإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة بسوط فما دونها ، ألآ وإن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا أتاني فأجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وابشاركم وانتم تغدون وتروحون في أجل وقد غيّب عنكم علّمه ، فإن استطعتم ألا يمضي هذا الرجل ألا أنتم في عمل صالح فأفعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ، فإن قوم نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم فإياكم أن تكونوا أمثالهم الجدّ الجدّ والوحي الوحي والنجاة النجاة ، فإن وراءكم طالباً حثيثاً آجلاً أمره سريعاً . أحذروا الموت واعتبروه (بالآباء والأبناء والإخوان ولا تغبطوا لأحياء إلا بما تغبطون به الأموات [1].

يبين أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – في هذه الخطبة طبيعة خليفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإنه ليس خليفة عن الله بل عن رسوله – صلى الله عليه وسلم - وإنه بشر غير معصوم ولا يطبق مقام الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولذلك فهو متبع وليس مبتدع ، كما يبين ، واجب الأمة في مراقبة الحاكم ومعاونته في إحسانه وصلاحه وتقومه ، ونصحه وفي غير ذلك ، كما بين ، أن النبي عدل بين الأمة ، فلم يظلم أحداً ، ولذلك ليس لأحد عن النبي مظلمة صغيرة أو كبيرة ، فمعنى هذا أنه سوف يسير على نفس

[1] - الامام الطبري - تاريخ الأمم والملوك – ص 244.

المنهج بنشر العدل ، ويبتعد عن الظلم ، ومن ثم على الأمة أن تعينه على ذلك وإذا رآه أحداً غاضباً ، فعليه أن يتجنبه وذلك لأن الشيطان ، يعتري الصديق ، ويعتري جميع بني آدم ، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

والمقصود بكل ذلك ، أن الصديق ليس معصوماً كالرسول – صلى الله عليه وسلم – وهذا حق .

وقد وظّف الصديق قوة البيان في خطبته وحديثه للأمة ، وقد كان أفصح خطباء النبي – صلى الله عليه وسلم- فحسبك أن تعلم معدن القول من نفسه وفكره حين تسمع كلامه كقوله :(احرص على الموت توهب لك الحياة) أو قوله: (اصدق الصدق الأمانة ، وأكذب الكذب الخيانة) وقوله :(الصبر نصف الإيمان ، واليقين الإيمان كله) فهذه الكلمات تتسم بالبلاغة – وحسن التعبير ، وكانت له لباقة حتى في الخطاب إلى جانب بلاغته وفصاحته.

وفي ذات المرات كان ماشياً وأسامةراكباً وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم – والله لتركبن أو لأنزلن فقال : والله لا تنزل والله لا أركب ، وما علي أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة ، فإن للغازي بكل خطوة يخطوها عنه سبعمائة حسنة له وسبعمائة درجة ترفع له وترفع عنه سبعمائة خطيئة حتى إذا انتهى قال : إن رأيت أن تعينني بعمر فأفعل فأذن له ثم قال: ((يا أيها الناس قفوا

أوصـيكم بعشـر فاحفظوهـا عنـي ولا تخولـوا ولا تغلـوا ، ولا تغـدروا ولا تمثلـوا ولا تقتلـواطفـلاً صـغيراً ، ولاشـيخاً كبيـراً ولا امـرأة ولا تعقـروانخـلاً ، ولا تحرقـوه ، ولا تقطعـوا شـجرة مثمـرة و لا تـذبحوا شـاة ،ولا بقـرة ، ولابعيـراً ، ألا لمـا كلـه وسـوف تمـرون بـأقوام ، فقـد فرغـوا أنفسـهم لـه فـي الصـوامع ، فـدعوهم ومفلا ّغـوا أنفسـهم لـه ، وسـوف تقـدمون علـى قـوم يـأتونكم بآنيـة فيهـا ألـوان الطعـام فـإذا أكلـتم منهـاشـئياً بعـد شـيء فـاذكروا اسـم الله عليهـا .وتلقـون أقوامـاً قـد فحصـوا أوسـاط رؤوسـهم وتركـوا حولهـا مثـل العصـائب فـاخفقوهم بالسـيفخفقـاً انـدفعوا باسم الله)).[1]

وهـو فـي وصـاياه ويصـدر عـن روح الإسـلام السـمحة وتعاليمـه السـامية فـي معالمـة المسـلمين لـم يقلبـون علـيهم ، إذا نطلـب إلـيهم أن لا يخونـوا ولا يغـدروا ولا يمثلـوا بقتيـل ولا يقتلـوا طفـلاًصـغيراً ولا شـيخاً كبيـراً ولاملـر أة ولا يفسـدوا زرعـاً ولا يسـتحلوا مـالاً إلاّ لمأكلـة وغيرهـا مـن الوصـايا التـي ذكـرت وكـذلك الأمـر فـي خطبته السابقة بجيش أسامة بن زيد حين سار على مشارف الشام [2].

وا ِذا أخـذنا نقـرأ فـي خطبتـه وجـدنا جمهورهـاوعظـاً يسـتمد مادتـه مـن القـرآن الكـريم وكـلام رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم – علـى شـاكلة قولـه فـي خطبـة لـه (إن الله عزوجـل لا يقبـل مـن الأعمـال إلا مـا أريـد بـه وجهـه ، فأريـدوا الله وبأعمـالكم

[1] - الطبري ، تاريخ الأمم و الملوك ، ص 246.
[2] - شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي – ص 123.

اعلمـوا أن مـا أخلصـتم لله مـن أعمـالكم فطاعـة أتيتموهـا ، وخطـأ ظفـرتم بـه وضـرائب أديتموهـا وحلـف قـدمتموه مـن أيـام فانيـة لأخـر ى باقيـة لحـين فقـركم وحاجـاتكم اعتبـروا عبـاد الله بمـن مـات مـنكم وتفكـروا فـيمن كـانوا قـبلكم أيـن كـان أمس وأيـن هـم اليـوم ؟ أيـن الجبـارون؟ وأيـن الـذين كـانو لهـم ذكـر القتـال والغلبـة فـي مـواطن الحـروب ؟ قـد تضعضـع بهـم الـدهر وصـاروارميمـاً . قـدتُ ركـت علـيهم القـالات ! الخبيثـات للخبيثـين والخبيثـون للخبيثـات . وأيـن الملـوك ؟ الـذين أثـاروا الأرض وعمروها ؟ قد بعدوا و نسى ذكرهم وصاروا كلا شيء.

ألا إن الله قـد أبقـى علـيهم التبعـات وقطـع عـنهم الشـهوات ومضـوا والأعمـال أعمـالهم والـدنيا لغيـرهم وبقينـا حلفـاً بعـدهم ، فـإن نحـن اعتبرنـا بهـم نجونـلوا إناغتررنـا كذّ ـا مـثلهم ! أيـن الوضـاءة الحسـنة وجـوههم المعجبـون بشـبابهم؟ صـارواتراباً وصـار مـا فرطـوا فيـه حسـرة علـيهم أيـن الـذين بنـوا المـدائن وحصـونها بـالحوائط ، وجعلـوا فيهـا الأعاجيـب ؟ قـد تركوهـا لمـن خلفهـم ، فتلـك مسـاكنهم خاويـة وهـم فـي ظلمـات القبـور ، هـل تحـس مـنهم أحـد أو تسـمع لهـم ركـزاً ؟ أيـن مـن تعرفـون مـن أبنـائكمو لخـو انكم ؟ وقـد انتهـت بهـم آجـالهم فـوردوا علـى مـا قـدموا ،فحلّـوا عليـه وأقـاموا للشـهوة والسـعادة فيهـا بعـد المـوت . ألا أن الله لا شـريك لـه ولـيس بينـه وبـين أحـد مـن خلقـه سـبب يعطيـه بـهخيـراً ولا يصـرف عنـه بـهسـوءاً إلا بطاعتـه إتبـاع أمـره وأعلمـوا أنكـم عبيـد مـدينون ، و إن

مـا عنـده لا يـدرك إلا بطاعتـه ، أمـا أنـه لا خيـر بخيـر بعـده النـار ولا شـر بعده الجنة).[1]

وواضح مما تملثنا به من خطابة أبوبكر الصديق – رضي الله عنه – إنه لم يكن يلهج بسجع وإنما كان يلهج بكلام جزل واضح الدلالة عما في نفسه ، وكان يتخير لفظه.[2]

ومما يدل على ذلك أنه عرض لرجل معه ثوب فقال له : (أتبيع الثواب؟ فأجابه لا . عافاك الله . فتأذى أبو بكر مما يوهمه ظاهر اللفظ إذ قد يظن أن النفي مسلّط على الدعاء فقال له : لقد علمتم لو كنتم تعلمون ، قل لا وعافاك الله . وكان من صواب رأيه وصحة فراسته اختياره عمر خليفة من بعده.[3]

مما سبق في تلك الخطب أن أبا بكر الصديق في خطبته التي بويع فيها بالخلافة فيها الكثير من الألوان البلاغية مثل قوله : (أيها الناس) هذا نداء للتشبيه حذفت أداته .

(فإني قد وليت عليكم) أسلوب مؤكد بمؤكدين إن وقد والفعل الماضي وكذلك المضارع المبني للمجهول قوله وليت عليكم ويبنى الفعل للمجهول

[1] - الطبري – تاريخ الأمم والملوك – ص 245 .
[2] - شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي – ص 143 .
[3] - الجاحظ – البيان والتبين – ص 261.

وحذف الفاعل لغرض بلاغي وهو العلم به ويقصد المسلمون الذين بايعوه .

(لست بخيركم) تعبير يدل على شدة التواضع وسمو أخلاقه – رضي الله عنه – والتعبير من باب التواضع هو مؤكد بحرف الجر الزائد الباء في بخيركم.

(فإن أحسنت فأعينوني وا ٍن أسأت فقومـوني) أسلوب شرط يوضحان حق الحاكم على الرعية .

وبين العبارتين مقابلة وسجع يعطيجرساً موسيقياً (أحسنت وأسأت) ،(الصدق أمانة والكذب خيانة) . سجع ومقابلة توضح ورعة – رضي الله عنه – وبشاعة الكذب .

والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ...) كناية عن المساواة التامة بين الناس وفيها مقابلة توضح المعني بالتضاد (أريح عليه حقه) تصوير الحق الضائع كأنه إنسان خلق حائر ، فإذا ما عاد إلى صاحبه هدأ واستقر ، وهي صورة توحي بشارة العدل في استقرار الأمور (فإنه لا يدعه قوم ألا ضربهم الله بالذل) في العبارة مواطن جمال عديدة منها إنها تعليل لما قبلها وأسلوب مؤكد بمؤكدين (إن وأسلوب القصر) بـ (لاوا ٍلا) وفيها تصوير الذلسلاحاً يضرب به كل ما ترك الجهاد في سبيل الله وسر جمال الصورة التجسيم ، وكلمة قوم نكرة للعمومو الشمول ولا تشيع الفاحشة

فـي قـوم إلا عمهـم الله بـالبلاء) أسـلوب القصـر بـ (لاإ ِلا) يؤكـد علـى أن المحـن والمصائب لا تنتشر إلا وتشيع الرذيلة بين الناس.

أطيعـوني مـا أطعـت الله ورسـوله أسـلوب إنشـائي غرضـه النصـح والحـث، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم)) .

أسـلوب أيضـاً إنشـائي غرضـه النصـح والحـث ، أطيعـوني مـا أطعـت الله ورسـوله فـإن عصـيت الله ورسـوله فـلا طاعـة لـي علـيكم ، مقابلـة جميلـة توضـح إن طاعـة الحـاكم مرهونـة بطاعـة الله ورسـوله وقـد تميـز أسـلوب تلـك الخطبـة بالإيجـاز والتركيـب مـع الوضـوح وسـهولة اللفـظ والتـأثر بمعـاني وأسـاليب القـرآن والحـديث الشـريف والتنـوع بـين الخبـر والإنشـاء وقلـة الخيـال وذلـك لاعتمـاد الخطبة على الإقناع العقلي.

والجمـال الموسـيقي المتمثـل فـي اختيـار اللفظـة الدقيقـة فـي موضـوعها والسـجع غيـر المتكلـف والجنـاس ، كمـا جـاء فيهـا تأكيـد المعنـي بأسـلوب التوكيـد المختلـف، وقـد قامـت كثيـر مـن العبـارات أبـو بكـر الصـديق علـى الموازنـة مثـل (فـإن أحسـنت فـأعينونيوا ِن أسـأت فقومـوني) (أطيعـوني مـا أطعـت الله فـيكم..) كـل هـذه الموازنـات السـابقة تبـرهن أن دسـتوره ومنهجـه فـي الحكـم قـائم علـى العدل والديمقراطية ومعناها.

ثانياً : الخطابة في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب القرشي ثاني خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم –و أول من تسمي في الخلفاء بأمير المؤمنين وأول من أرخ بالتاريخ الهجري مصر الأمصارودو ّن الدواوين ، ولد – رضي الله عنه – بعد مولد النبي – صلى الله عليه وسلم- بثلاث عشرة سنة، حضر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم – الغزوات كلها ثم لماقُبض – صلى الله عليه وسلم – أعان أبا بكر الصديق على توليه الخلافة ، ولما أحس أبو بكر – رضي الله عنه- بالموت عهد بها إليه[1].

وكان ذلك في جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة فقام بأعبائها خير قيام وأتم جميع ما شرع فيه أبو بكر من فتح ممالك كسرى وقيصر.[2]

قتله غيلة الغلام الشقي أبو لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة المجوسي لأنه لم ينصفه على زعمه في تخفيض ما يدفعه لسيده من أجرة عمله ، وكان قتله سنة 23هـ ومدة خلافته عشر سنين وسنة أشهر وثمانية أيام.

وكان رضي الله عنه – من أبين الناس منطقاً ، وأبلغهم عبارة ، وأكثرهم صواباً ، وحكمة ،ورأو اهم للشعر ، وأنقدهم له. [3]

---

[1] - السيد أحمد الهاشمي – جواهر الأدب - مج2 – ص 114.
[2] - السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبو بكر – تاريخ الخلفاء – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – الطبعة الأولي – ص 113.
[3] - السيد أحمد الهاشمي – جواهر الأدب – ص 114.

وقد كان في مرتبة رفيعة من البلاغة والفصاحة ، حتى قالوا : إنه كان يخرجوا الضاد من شدقيه ثيناً [1].

ومن خطبه – رضي الله عنه – خطبته لما ولّي ، إذ صعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : ((إن الله عزوجل قد ولاني أمركم ، وقد علمت أنفع ما بحضرتكم لكم ، وأني أسأل الله أن يعينني عليه وأن يجد مني حرصاً عنده ، كما حرصي عند غيره ، وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمر به وإني أمرؤ مسلم وعبدٌ ضعيف إلا ما أعان الله عزوجل ، ولن يغير الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله وإنما العظمة لله عزوجل وليس للعباد منها في شيء ، فلا يقولن أحدٌ منكم : إن عمر تغير منذ ولّي .

أعقل الحق من نفسي وأتقدم ، وأبين لكم أمري فيما رجل كانت له حاجة أو ظلم مظلمة ، أو عتب علينا في خلق ، فليودني ، فإنما أنا رجل منكم ، فعليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم ، وحرماتكم ، أغراضكم ، وأعطوا الحق من أنفسكم ، ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إلّي فإنه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادة وأنا حبيب إلى صلاحكم عزيز عُلي عتبكم . وأنتم أناس عامتكم حضرٌ في بلاد الله وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع إلا ما

[1] - الجاحظ - البيان والتبين – ص 62.

جاء من الله به إليه ، إن الله عزوجل قد وعدكم كرامة كثيرة ، وأنا مسؤول عن أمانتي ، وما أنا فيها . ومطلع علي ما بحضرتي بنفسي إن شاء الله ، لا آكله إلى أحد ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء. وأهل النصح منكم للعامةلستُ أجعل أمانتي إلىأحدٍ سواهم إن شاء الله)).[1] يتقدم سيدنا عمر بن الخطاب في خطبته هذه بأجمل العبارات وأفصح الكلماتطالباً التوجيه من رعيته مع مخافة الله فالسر ّ والعلن ويوضح بأنه ينجرف نحو الحق إينما كانوا ِن كان من نفسه كما يوصي بأن لا يحمل المسلمين على بعض حتى يحتاجون إلى حكم بل يريد الأمر أن يكون خالي من الاعتداءات المحتملة من قبل القوم كما يوصف لهم البلد الذي هم فيه بأنه لا زرع فيه ولا ضرع فيه. ومن عجيب خطبه خطبته بعد أن عقدت له الولاية إذ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ((أيها الناس إنيداعٍ فآمنوا ، اللهم إني غليظ فليني لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرةو ارزقني الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم ، اللّهم إني شحيح فسخني في نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ،و اجعلني أبتغي بذلك وجهك والدار الآخرة ، اللهم أرزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إني كثير الغلظة والنسيان فألهمني ذكرك على كل حال وذكر نيالموت في كل ّ حين اللهم إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني

[1]- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج2 ، ص 573.

النشـاط فيهـا والقـوة عليهـا بالنيـة الحسـنة التـي لا تكـون إلا بعزتـك وتوفيقـك ، اللهـم ثبتنـي بـاليقين والبـر والتقـوى ، وذكـر المقـام بـين يـديك والحيـاء منـك ، و ارزقنـي الخشـوع فيمـا يرضـيك عنـي والمحاسـبة لنفسـيوا إصـلاح السـاعات والحـذر مـن الشـبهات ، اللهـم أرزقنـي التفكيـر والتـدبير لمـا يتلـوه لسـاني مـن كتابـك والفهـم لـه والمعرفـة بمعانيـه والنظـر فـي عجائبـه والعمـل بـذلك مابقيـت ، إنـك علـى كـل شيء قدير [1].

أسـلوب هـذه الخطبـة و وموضـوعها الـوعظ والإرشـاد والتوسـل إلـي الله وهـي عبارة عن دعاء .

وفـي السـنة الثامنـة عشـر مـن الهجـرة أصـابت النـاس مجاعـة شـديدة ولذبـة وجـدوب وقحـط وذلـك هـو العـام الـذي يسـمى بعـام الرمـاد ، وكـان النـاس بـذلك وعمـر كالمحصـور عـن أهـل الأمصـار ، حتـى أقبـل بـلال بـن الحـارث المـذني فأسـتأذن عليـه ، فقـال : أنـا رسـول الله إليـك يقـول لـك رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم- لقـد عهـدتك كيسـاً ومـا زلـت غلـى ّ رجـلٌ ، فمـا شـأنك ؟ فقـال : ((متـي رأيـتَ هـذا ؟ قـال : البارحـة ، فخـرج فنـادى فـي النـاس الصـلاة جامعـة !فصـلّ بهـم ركعتـين ثـم قـال : ((أيهـا النـاس : أشـهدكم الله هـل تعلمـون منـي أمـراً غيـره خيـر منـه ؟ قـالواللهّ م لا ،قـال : فـإن بـلال بـن الحـارث يـزعم ذيـه و ذيـه ، فقـالوا : صـدق بـلال فاسـتغث بـالله وبالمسـلمين فبعـث إلـيهم وقـال عمـر: الله أكبـر بلـغ

[1] - السيد أحمد الهاشمي – جواهر الأدب –ج2 - ص 115

البلاء مدته فانكشف ما آذن لقوم في الطلب إلا وقد رفع عنهم البلاء ، فكتب إلى أمراء الأمصار أغيثوا أهل المدينة ومن حولها فإنه قد بلغ جهدهم وأخرج الناس إلى الإستسقاء ، فخرج وخرج معه العباس ماشياً ، فخطب فأوجز قال چ ى ى ي ي چ [1] اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آياته وكبار رجاله[2] فإنك تقول چ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا چ[3].

فحفظتهما لصلاح أبيهما ، فأحفظ اللهم نبيك في عمه اللهم أغفر لنا إنك كنت غفارا ، اللهم أنت الراعي فلا تهمل الضالة ، ولا تضع الكسيرة بمضيعة ، اللّهم قد ضرع الصغير ، ورق الكبير وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم أغثهم بغيثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا . چ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ چ[4] ثم صلى ثم جلس على ركبتيه وقال: اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم أغفر لنا وارحمنا وأرضى عنا)) ثم انصرف . فما برحوا حتى علقوا الحذاء وقلصوا المآذر وطفق الناس بالعباس يقولون : هنيئاً لك ساقي الحرمين.[5]

---

[1] - سورة نوح الآية 10 .
[2]- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج2 ، ص 508
[3] - سورة الكهف – الآية 82.
[4] - سورة يوسف الآية 87
[5] - الطبري – تاريخ الأمم والملوك – ص 508 .

تمتاز الخطبة بوحدة الموضوع وجوده العبارة وترابط الألفاظ والتأثر بمعاني القرآن الكريم وألفاظه في قوله (إنه كانغفّارا)و استشهاده بآيات القرآن الكريم.[1]

ولما بلّغه أن قومه يفضلونه على أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وثبمغضباً حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى الله على نبيه – صلى الله عليه وسلم - ثم قال : ((أيها الناس إني سأخبركم عني وعن أبي أبكر ، إنه لما توفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ارتدت العرب ومنعت شاتها وبعيرها فأجمع رأينا كلنا أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – أن قلنا له : يا خليفة رسول الله إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم – كان يقاتل العرب ، بالوحي والملائكة يمد الله بهم ، وقد انقطع ذلك اليوم ، فالزم بيتك ومسجدك ، فإنه لا طاقة لك بقتال العرب . فقال أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – (أوكلكم رأيه على هذا ؟ فقلنا : نعم .فقال : والله لئن أخر من السماء فتخطفني الطير أحبإليّ من أن يكون هذا أيي ! ثم صعد المنبر فحمد الله وكبره وصلى على نبيه – صلى الله عليه وسلم – ثم أقبل على الناس فقال : (أيها الناس من كان يعبدمحمداً فإنمحمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، أيها الناس إن كثر أعداؤكم وقل عددكم ، ركب الشيطان منكم هذا المركب ! والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها ولو

[1] محمد عبد القادر أحمد ، دراسات في أدب و نصوص العصر الإسلامي ، ص 75.

كـره المشـركون ، قولـه الحـق ووعـده الصـدق چ ڈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک چ [1] أيهـا النـاس لـو أفـردت مـن جمـيعكم لجاهـدتهم فـي الله حـق جهـاده حتـى أبلـي بنفسـي عـزاً أو أقتـل قـتلاً ، والله أيهـا النـاس لـو منعـوني عقـالاً لجاهدتهم عليه واستعنت عليهم الله وهو خير معين[2].

ومـن عيـون خطبـه – رضـي الله عنـه – خطبـة فـي ذم الـدنيا إذ يقـول : " إنمـا الـدنيا أمـلٌ مختـرم، وأجـل مـنقض ، وبـلاغٌ إلـى دار غيرهـا وسـير إلـى المـوت لـيس فيـه تعـريج ، فـرحم الله امرأً فكـر فـي أمـره ، ونصـح لنفسـه ، وراقـب ربـه ، واسـتقال ذنبـه وبـئس الجـار الغنـي يأخـذك بمـا لا يعطيـك مـن نفسـه فـإن أبيـت لـم يعـزرك وإياك والبطنـة فإنهـا مكسـلة عـن الصـلاة ومفسـدة للجسـم ، ومؤديـه إلـى السـقم ، وعلـيكم بالقصـد فـي قـوتكم فهـو أبعـد مـن السـرف وأصـح للبـدن ، وأقـوى على العبادة ، وأن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه [3]

وسـار عمـر سـير أبـو بكـر فـي تشـييع الجيـوش بالخطابـة محرضـاً علـى الجهـاد ، حتـى ينتشـر الـدين الجديـد فـي أقطـار الأرض وهـو لـن ينتشـر إلا بـالقوة التـي تعـز الحـق وتعلـى سـلطانه إنهـا معركـة الإسـلام معركـة النفـوس المؤمنـة التـي وعـدها الله أن تـرث الأرض ومـا عليهـا . ومـا زال عمـر يبـرز هـذه المعـاني محـاولاً

---

[1] - سورة البقرة ، 249

[2] - المبرد ، أبو العباس ، محمد بن يزيد – الكامل في الأدب – دار الفكر العربي (د، ت ، ط) عارضه وعلق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم – المجلد الأول – ص 390 .

[3] - السيد الهاشمي ، جواهر الأدب ، ص 574

أن يرتفع العرب في جهادهم عن ضعف المخلوق ويصحبوا قوة من قوات الخالق[1].

والخطبة موعظة رائعة في ذم الدنيا والترغيب في الآخرة وكل ذلك لما فيه من مواقف الترغيب والترهيب فيما تحوى من عبارات ذات معاني ودلالات إسلامية وكل ما أوردناه من خطبه – رضي الله عنه – يبين أنه كان على قدرٍ من الفصاحة والبلاغةمتأثراً بمعاني القرآن وألفاظه وكثيراً ما يستشهد بآي الذكر الحكيم.

وقد أكثر سيدنا عمر من الخطابة لا في الجمع والأعياد و مواسم الحج فحسب بل مع كلحادث ومع كل خبر يأتيه بفتح وقد سار على هدى أبي بكرٍ – رضي الله عنه – في استشارة أصحابة في كل مهم.[2]

المبحث الثالث:

الخطابة في عهد سيدنا عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب – رضي الله عنهما

أولاً : الخطابة في عهد سيدنا عثمان بن رضي الله عنه :

[1] - شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي، ج2 ، ص 125 .
[2]- شوقي ضيف ، تاريخ الأبد العربي ، ج2 ، ص108.

هــو أميــر المــؤمنين عثمــان بــن عفــان القرشــي الأمــوي ثالــث الخلفــاء الراشـدين وموجـد نسـخ القـرآن الكـريم ، ولـد فـي السـنة السادسـة مـن مولـد النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم- وآمـن فـي السـابقين الأولـين ، بـذل مالـه الكثيـر فـي تأييـد الإسـلام ومعونـة المجاهـدين وشـهدمغـاز ي رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم- كلهـا إلابـدراً ، وقـد كـان عمـر قبـل وفاتـه عهـد بالخلافـة إلـى سـت وهـو مـنهم – تنتخـب الأمـة أحـدهم خليفـة فـانتخبوا بالشـورى عثمـان ، فأكملمغـاز ي عمـر ، ثـم ثـار عليـه بعـض الأعـراب بحجـة أنـه يـؤثر أقربـاءه بولايـة الأقـاليم ، فحاصـروه بـداره فـي المدينـة قتلـوه وهـو يتلـو القـرآن الكـريم سـنة 35هـ وكـان قتلـه سـبب التفـرق بـين المسلمين وكانت مدة خلافته اثنتاعشر ة سنة إلا اثني عشر يوماً .

كــان رحمــه الله مــن بلغــاء الخطبــاء ، وأوجــزهملفظــاً ، وأجــزلهمعنــي ، وأسهلهم عبارة[1].

كــان يهــبط درجــة عــن عمــر وأبــي بكــر – رضــي الله عنهمــا – فــي الخطابــة والفصــاحة والبيــان ، ويــروي أنــه أرتــج عليــهيومــاً وقــد أراد الخطابــة فــي النــاس فقـال : ((إن أبـا بكـرو عمـر كـان يعـدان لهـذا المقـامقـالاً ، وأنـتم إلـى إمـام عـادل أحوج منكم إلى إمام خطيب)).

[1] - السيد أحمد الهاشمي – جواهر الأدب – ص 117 .

ولـيس معنـي ذلـك إنـه كـان يـرتج عليـهدائماً فقـد كـان يخطـب أحيانـاً فيمـل الـنفس بمواعظـه.[1] ومـن خطبـه الرائعـة لمـا بايعـه أهـل الشـورى خـرج وهـو أشـدهم كآبـة ، فـأتي منبـر رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم –فخطـب النـاس ، فحمـد الله وأثنـى عليـة وصـلى علـى نبيـه – صـلى الله عليـة وسـلم- وقـال: ((إنكـم فـي دار قلعـة وفـي بقيـة أعمـار فبـادروا آجـالكم بخيـر مـا تقـدرون عليـه فلقـد أتيـتم صـبحتم أم مسـيتم إلا إن الـدنيا طويـت علـى الغـرور ولا تغـرنكم الحيـاة الـدنيا ، ولا يغـرنكم بـالله الغـرور اعتبـروا بمـن مضـى، ثـم جـدوا ولا تغفلـوا ، فإنـه لا يغفـل عـنكم ، أيـن أبنـاء الـدنيلوا إخوانهـا الـذين آثاروهـا وعمـرو هـا ومتعـوا بهـا طـويلاً ألـم تلفظهـم ؟ أرمـوا بالـدنيا حيـث رمـى الله بهـا ،و اطلبـول الآخـرة فـإن الله ضـرب لهـامـثلاً ، وللـذي هـــو خيـــر فقـــال چ

چ [2]

وأقبل الناس يبايعونه .

ولمـا تمـت لـه البيعـة العامـة خطـب فـي النـاس فقـال بعـد أن حمـد الله وأثنـى عليـه وصـلى علـى نبيـه : ((أمـا بعـد فـأنيُ ملـتُ وقـقبلـتُ إلا وأنـي متبـع ولسـت مبتـدعاً ألا فـإن لكـم علـي بعـد كتـاب الله عزوجـل وسـنة رسـوله – صـلى الله عليـه وسـلم –ثلاثـاً : إتبـاع مـن كـان قبلـي فـي مـا اجتمعـتم عليـه وسـننتم وسـن سـنة أهـل

[1]- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي، ص 126.
[2] - سورة الكهف الآية 45 .

الخير فيما لم تسنوا على ملأ ،و الكف عنكم إلا فيما استوجبتم ألاوا ن الدنيا خضرة قد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها فإنها ليست بثقة ، وأعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها) [1].

إن هذه الخطبة في مجملها تدعو إلى جذب الانتباه بأن سيدنا عثمان – رضي الله عنه – هو الذي يطبق ما وجد من الدين على نهج الكتاب وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – وهي ثلاثة أمور يجب الأخذ بها أن يتبع ما كانت عليه الأمة الإسلامية من منهجية دينية صادقة ومن ثم الكف عن ما ليس فيه نهج الأمة الإسلامية ويحذرهم من إتباع الدنيلوا نها غير ثقة فلا تثقوا فيها وا نها غير تاركة إلا من تركها وهي دار لهو وعبور.

ولما قدم المصريون إلى عثمان – رضي الله عنه – فطلبوا منه أن يرد الخلافة ويعتزل الأمر ، خطب فيهمقائلاً : (الحمد لله أحمدهو استعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

((أما بعد فإنكم لم تعدلوا في المنطق ، ولم تنصفوا في القضاء أما قولكم : تخلع نفسك ، فلا أنزعقميصاً قمصنيه الله عزوجل وأكرمني به ، وخصني به

[1] - الطبري – تاريخ الأمم الملوك ، ص 692.

علـى غيـري ، لكنـي أتـوب وأنـزع ولا أعـود لشـئ عابـه المسـلمون ، فـإني والله الفقير إلى الله الخائف منه)) [1].

ومـن هـذا تعلـم بـأن سـيدنا عثمـان بـن عفـان قـد مـلأ النفـوس بمواعظـه وذلـك علـى شـاكلة قولـه فـي آخـر خطبـة خطبهـا (أمـا بعـد ... فـإن الله عزوجـل إنمـا أعطـاكم الـدنيا لتطلبـوا بهـا الآخـرة ، ولـم يعطيكموهـا لتركنـوا إليهـا – الـدنيا تفنـى والآخـرة تبقـى ، فـلا تبطـرنكم الفانيـة ، ولا تشـغلنكم عـن الباقيـة ، فـأثروا مـا بقـى علـى مـا يفنـى ، فـإن الـدنيا منفطمـة وا ن المصـير إلـى الله ، اتقـوا الله عزوجـل فـإن تقـواه جنـة مـن بأسـه ووسـيلة عنـدهو احـذروا مـن الله الغيـر وألزمـوا جمـــاعتكم، ولا تصـــيرواأحزابـــاً چ ڤ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ ڄ ڄ ڃ ڃ چ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ڪ ڪ گ گ گ گ چ [2].

بـالرغم مـن امتحانـه فـي آخـر أيامـه بـالثورة عليـه ، فلـم تنحـرف نفسـه بـل ظـلصـابراً يـدعو النـاس إلـى ألا يحـدثوا فتـق هـذه الفرقـة ، وهـو فـي أثنـاء ذلـك يعظهـم ألا تبطـرهم الـدنيا كمـا رأينـا فـي خطبـة ، وقـد امتـازت خطبتـه - رضـي الله عنـه – بجزالة المعني وسهولة العبارة وهذا بالإضافة إلى الإيجاز في اللفظ [3].

ثانياً : الخطابة في عهد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه :

---

[1] - الطبري – تاريخ الأمم الملوك – ص 693.
[2] - سورة آل عمران ، الآية 103
[3] - شوقي ضيف – تاريخ الأدب ، ص 118 .

هـو أميـر المـؤمنين أبـو الحسـن علـي بـن أبـي طالـب – رضـي الله عنـه- ابـن عـم رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم – وزوج ابنتـه ورابـع الخلفـاء الراشـدين ، ولـد رحمـه الله بعـد حـول رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم - بـاثنين وثلاثـين سـنة ، وهـو أول مـن آمـن بـه مـن الصـبيان وكـان شـجاعاً لا يشـق لـه غبـار ، شـهد الغـزوات مـع النبـي – صـلى الله عليـه وسـلم – إلا غـزوة تبـوك، وأبلـى فـي نصـرة رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم- مـا يبلـه أحـد ، وبويـع بالخلافـة فـي الغـد مـن قتل عثمان بن عفان بالمدينة[1]

فأخـذ معاويـة بـن أبـي سـفيان يؤلـب بنـي أميـة عليـهو انضـمت إلـيهم عائشـة وطلحـة بـن عبـد الله والزبيـر بـن العـوام ، فانتصـر علـى طلحـة وعائشـة والزبيـر بـن العـوام ، ودخـل مـع معاونـة فـي حـروب صـفين ، ثـم كانـت خدعـة التحكـيم ، فخـرج عليـه فريـق مـن جيشـه ، فاضـطر إلـى حربـه وهـو فـي كـل ذلـك يخطـبواعظـاً حينـاً وداعياً إلى جهاد خصومهحيناً آخر.[2]

وعـاد إلـى الكوفـة يسـتعد إلـى حـرب عـدوه فقتلـه عبـد الـرحمن بـن ملجـم بسيف مسموم وهو في مسجد الكوفة سنة 40 هـ.[3]

[1] - حنا الفاخوري – تاريخ الأدب – ص 322
[2] - السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ، صى 118 .
[3] حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، ص 322.

وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر وكان رحمه الله أفصح الناس ، بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأكثرهم علماً ،وزهداً وشدةً في الحق ، وهو إمام الخطباء من العرب على الإطلاق بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم[1].

ولما أريد علي البيعة بعد قتل عثمان بن عفان – رضي الله عنه- خطب فقال: (دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول وا ن الآفاق قد أقامت والمحجة قد تنكره، وأعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب وا ن تركتموني فإنا كأحدكم ولعلي أسمعكمو أطيعكم لمن وليتموه أمركم وأنالكم وزيراً خير لكم منهأميراً [2].

الخطبة توضح زهده – رضي الله عنه- في خلافة المسلمين ولا يريد أمر التكليف خوفاً من الإخفاق وشتات الأمة وهذا يوضح زهده وخوفه على المسلمين من الضياع وحدوث الفرق والقيله والقال التي تكثر العتاب بين أفراد المجتمع المسلما ن تولي أمرهم سوف يكون عليهم صعب لا يسمع إلا الحق فيهم فقط . حيث استخدم في ذلك عبارة بعيدة عن التكلف وصنعه المقالة وألفاظ السجع والبلاغة المصنوعة .

[1] - السيد أحمد الهاشمي ، جواهر الأدب ، ج2 ، ص 118 .
[2] - الشيخ محمد عبده ، شرح نهج البلاغة - المجلد الأول ، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات ، بيروت – لبنان (د.ت.ط) ، ص 180- 183 .

ومـن خطبــه الشــهيرة خطبتــه بعـد التحكـيم حيـث خطـب بعـد أن حمـد الله وأثنــى عليــه قـائلاً : (الحمـد لله إن أتــى الـدهر ، بالخطـب الفـادح والحـدث الجلـل وأشـهد أن لا إلــه إلا الله وحـده لا شـريك لـه ، لـيس معـه إلــه غيـره وأن محمـداً عبـده ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد ..

فــإن معصــية الناصــح الشــفيق ، والعــالم المجــرب تــورث الحيــرة وتعقــب الندامـة وقـد كنـت أمـرتكم فـي هـذه الحكومـة أمـري ، ونخلـت لكـم مخزون رأي لـو كـان يطـاع لقصـير* أمـر فـابيتم علـي إبـاء المخـالفين الجفـاة المنابـذين العصـاة ، حتــى ارتــاب الناصــح بنصــح ، وضــن الزنــد بقدحــه وكنــتُ واإيــاكم كمــا قــال أخــو هوازن:

أمرتهم أمري بمنعرَج اللوى *** فلَمْ يستبينوا النُصح إلا ضحى الغدِ [1]

فهـو فـي الخطبـة يستشـهد بالأمثـال مـن أقـوال العـرب مـدعماً لموقفـه ولمـا انتهـى إليــه ، أن خـيلاً لمعاويــة وردت الأنبــاء فقتلــوا عــاملاً لــه ، يقــال لــه : حســان بــن حسـان ، فخـرج مغضـباً يجـر ثوبـه حتـى أتـى النخيلـه ،و اتبعـه النـاس ، فرقـى ربـوة مـن الأرض ، فحمـد الله وأثنــى عليــه وصــلى علــى نبيــه – صــلى الله عليــه وســلم – ثـم قـال : (أمـا بعـد فـإن الجهـاد بـاب مـن أبـواب الجنـة ، فمـن تركـه رغبـة عنـه

* قصير : هو ملى خزيمة الأوش ، كان حاذقاً وقد أشار على سيدة خزيمة أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة فخالفة فقصدها إجابة على دعوتة إلى زواجة فقتلته ، فقال قصير لا يطاع لقصير أمر فذهبت مثلاً ، انظر في ذلك الدكتور محمد عبد القادر أحمد – دراسات في أدب ونصص العصر الإسلامي ، ص 80 الهامش.

[1] - السيد أحمد الهاشمي – جواهر الأدب – ص 119

ألبسه الله ثوب الذل ،وشمله البلاء ولزمه الصغار وسيم الخسف ومنع النصف إلا إنـي قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وا إعلاناً وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فو الله ما غزى قوماً قط في عقر دارهم ألا زلوا فتواكلتم وتخاذلتم – وثقل عليكم قولي – واتخذتموه أراءكم ظهرياً ، حتى شنت عليكم الغارات وهذا أخو ا غامد قد وردت خيله الانبار وقتل حسان – أو ابن حسان البكري [1].

وأزال خيلكم عن مسالحها وقتل منكم رجلاً صالحين ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة ، فينزع حجلها وقبلها ورعاتها ثم انصرفوا و افرين ما كلم رجل منهم كلاماً ولو أن أمرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ، ما كان به عندي ملوماً ، بل كان به عندي جديراً فيا عجباً من جد هؤلاء القوم في باطلهم ، وفشلكم عن حقكم فقبحاً لكم وترحاً حين صرتم هدفاً يرمي ،وفيئاً ينتهب يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ، ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون ، فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرب قلتم حمأة الغيظ ، أمهلنا ينسلخ عنا الحر وا إذا أمرتكم بالسير في البرد قلتم أمهلنا ينسلخ عنا القر كل ذافراراً من الحر والقر وا إذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر ، يا أشباه الرجال ولا رجال ويا أحلام الأطفال ، وعقول ربات الحجال ، وددت أن الله قد أخرجني من بين ظهر ايكم وقبضني

[1] - المبرج – الكامل - ص 117 .

إلـى رحمتـه مـن بينكم والله لـو ددت إنـي لـنأر اكـم ـ، ولـم أعـرفكم معرفـة والله جـرت نـدماً قـدور مـتم صـدري غيظـاً ، وجرعتمـوني المـوت أنفاسـاً و افسـدتم علـي رأي بالعصـيان والخـذلان ، حتـى قالـت قـريش : ابـن أبـي طالـب شـجاع ولكـن لا علـم لـه بـالحرب. لله أبـوهم ! وهـل مـنهم أحـد أشـد لهـامراسـاً وأطـول لهـا تجربـة منـي؟ لقـد مارسـتها ومـا بلغـت العشـرين ، وهانـذا قـد نفيـت علـى السـتين ولكـن لا أري لمـن لا يطاع. [1]

والواضـح مـن هـذه الخطبـة التـي خطبهـا سـيدنا علـي – رضـي الله عنـه – هـي التـي تعظـم مـن شـأن الجهـاد ، ثـم تحدثـه عـن أغـارت خيـل معاويـة علـى الأنبـار وقتـل حسـان وللأسـف فـي هـذا الوضـع المخجـل ، كمـا تبـين الثقافـة القرآنيـة والأدبيـة ، والتـي تظهـر فـي استشـهده – رضـي الله عنـه – بـأي الـذكر الحكيم وكلام العرب شعراً ونثراً .

أمـا الملامـح الجماليـة لهـذه الخطبـة فتظهـر و تتجلـى فـي اسـتخدامه – رضـي الله عنـه – للسـجع (سـيم الخسـف ومنـع النصـف) كمـا اسـتخدم الجنـاس (تغـذون وتغـدون) والتـرادف حلـم وعقـول والتضـاد (الحـر والبـرد والصـيف والشـتاء ، الليل والنهار ،السر والعلن) .

[1] - الجاحظ - البيان والتبين – مج2 – ص 54.

فقام لـه رجل مـن الاذد يقـال لـه فـلان بـن عفيـف ثـم أخـذ بيـد أخ لـه فقـال : يـا أميـر المـؤمنين أنـا وأخـي هـذا كمـا قـال الله تعـالى ((إنـي لا أملـك إلا نفسـي وأخي))

فأمرنـا بـأمرك فـو الله لننتهـين إليـه ولـو حـال بيننـا وبينـه جمـر الفضـا وشـوك القتـاد، فدعا لهما بالخير ثم قال : (أين تقعان مما أريد) [1] .

ومـن عيـون خطبـة خطبتـه فـي ذم الـدنيا التـي قـال فيهـا بعـد أن حمـد الله وأثنـى عليـه : (أمـا بعـد فـإن الـدنيا قـد أدبـرتو آذنـت بـوداع ، وأن الآخـرة قـد أقبلـت وأشـرفت بـاطلاع . إن المضـمار اليـوم السـباق غـداً . ألاإ نكـم فـي أيـام أمـل مـن ورائـه أجـل ، فمـن أخلـص فـي أيـام أملـه قبـل حضـور أجلـه ، فقـد نفعـه عملـه، ولـم يضـره أملـه ومـن قصـر فـي أيـام عملـه قبـل حضـور أجلـة فقـد خسـر عملـه ، وضـره أملـه . ألا فـأعملوا لله فـي الرغبـة ، كمـا تعملـون لـه فـي الرهبـة . ألاإ نـي لـم أر كالجنـة نـام طالبهـا ، ولا كالنـار نـام هاربهـا ، ألاإ نـه مـن لـم ينفعـه الحـق يضـره الباطـل، و مـن لـم يسـتقم بـه الهـدى يجـر بـه الضـلال . ألا واإ نكـم قـد أمـرتم بـالظعن ، ودللـتم علـى الـزاد ،واإ ن أخـوف مـا أخـاف علـيكم اتبـاع الهوي وطول الأمل [2].

[1] - أبو الفرج الاصفهاني الأغاني ، دار الثقافة بيروت ، 1955م ، تحقيق سعبد الستار أحمد فراج ، ج 16 ، ص 202 ، وقد ورد نص هذه الخطبة بشكل يكاد يكون مطابق في الكامل للمبرد ، ج1 ، ص 117، وشرح نهج البلاغة ، ج1 ، ص 67.

[2] - الجاحظ – البيان والتبين – مج2 ، ص 35 ، ورد نص الخطبة في شرح نهج البلاغة ، ج1 ،ص 70، بشكل مطابق لهذا النص.

إن الخطبة موعظة رائعة توضح إدبار الدنيا وإقبال الآخرة ، وتدعو للإخلاص في العمل ، وكل ذلك يريد النجاة بالأمة الإسلامية والدعوة إلى الوحدة ، وعدم التشتت والتفرق ، أن الخطبة من النواحي الجمالية قد استخدم الترادف والرغبة والرهبة ، الجنة والنار ، الحق والباطل .

وكل ذلك ترغيب في التمسكبالدعو ة إلى الله وإفراده بالعبودية لأن الدنيا ليست دار مقروا إنما هي مدخل يعبر به الإنسان إلى دار الخلود وهي الجنة وما فيها نعيم مقيم .

وخطب علي بن أبي طالب لما خاطبه العباس وأبو سفيان في أن يبايعا له بالخلافة فقال : (أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريقالمنافر ة ،وضعوا عن تيجان المفاخرة أفلح من نهض بجناح ، واستسلم فأراح ، هذا ماء أجن ولقمةقص ُ بها آكلها ، ومجني الثمرة من قبل وقت إيناعها ، كالزارع بغير أرضه فإن أقل يقولوا أحرص على الملكوا إن أسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمة ، بل اندمجت على مكنون علم ولو بحث به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوى البعيدة)). [1]

[1] - السيد الهاشمي ، جواهر الأدب ، ص 119 .

وقد ساعدت عوامل كثيرة على فصاحة الأمام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وبلاغته ونبوغه في فن الخطابة قد تهيأ له استعداد فطري من قريحة مبدعة وذهن صافي وذكاء متوقد ، ووعي نابه وطبع عربي أصيل ، كما ورث الفصاحة من بني هاشم المشهود لهم بالفصاحة واللسن، وقوة البيان ورعة المنطق ، كما تعلم وتربى في بيت النبوة وفي كنف الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهو أفصح الناس أسلوباً وأبينهم عبارة ، وأحكمهم منطقاُ ، وقد أعطى جوامع الكلم ، وأوتي القرآن الكريم ومثله معه وقد كان الإمام علي حافظاً للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي القديم والأمثال والحكم العربية ، هذا بالإضافة إلى دخوله معترك الصراع بين الكفر والإيمان حيث تقرع الحجة الحجة – يزمقالر أيالر أي.

وقد تكونت لديه خبرة واسعة لأنه كان من السابقين الأوليين في الإسلام ، وشاهد بناء صرح دولته ، وشارك في ذلك بسيفه ولسانه ، واضطلع بأعباء كثيرة أيام خلافته أبى بكر وعمر رضي الله عنهم.

يضاف إلى ذلك كثرة الأحداث التي توالت على الدولة الإسلامية بعد مقتل عثمان – رضي الله عنه – وما صاحب ذلك من كثرة الحوار والجدل مع خصومه وأنصاره.[1]

[1] - محمد عبد القادر أحمد – دراسات في ادب ونصوص العصر الإسلامي ، ص 78 .

ومـن الطبيعـي أن تكثـر خطبـه فـي حـروب خصـومه ، وقـد ظـل نحـو أربـع سنوات يجاهدهم ويخطب في أصحابه حاثاً لهم على الجهاد.[1]

وقـد عـالج الإمـام علـى – رضـي الله عنـه – فـي خطبـه شـتي الشـئون الدينيـة والحربيـة والسياسـية والاجتماعيـة فهـو تـارةزيد هـد النـاس فـي الـدنيا ويحـثهم علـى الاسـتفادة بمـا فيهـا مـن عبـر وعظـات ، وتـارة يوصـي الجنـد بمـا يجـب التحلـي بـه فـي ميـادين القتـال ومعاملـة الأعـداء ،ويحـذرهم مـن خـداع الخصـوم ، و أحيانـاً يثيـر الحميـة والحماسـة فـي نفـوس المسـلمين ويحـثهم علـى الثبـات فـي مواجهـة الأعـداء ويقنـع الخـارجين عليـه مـن جنـوده ، ويـدعوهم للحفـاظ علـى الجماعـة ويظهـر ألمـه لمـا أصـابه مـن فرقـة وتمـزق، ويوضـح لأتباعـه نهجـه السياسـي أو يشـرح لهـم خطـة مـن خططـه ومـن خطبـه فـي حـث أصـحابه علـى الجهـاد وقتـال جنـد معاويـة قولـه :((عبـاد الله مـا لكـم إذا أمـرتكم أن تنفـروا فـي سـبيل الله تثـاقلتم إلـى الأرض ، أرضـيتم بالحيـاة الـدنيا عـن الآخـرةبـدلاً ؟ والـذل والهـوان مـن العـز خلفـاً؟ لله أنـتم ! تكـادون ولا تكيـدون، تنـتقص أطـرافكم ولا تمتعضـون ولا ينـام علـيكم وأنـتم فـي غفلـة سـاهون ، إن أخـا الحـرب اليقظـان ذو العقـل – وبـات لـذل مـن وداع وغلـب المتخـاذلون ، والمقلـوب مقهـور مسـلوب ، أمـا بعـد : فـإن لـي علـيكمحقـاًوا ٍن لكعلـي ّ حقـاً ، فأمـا حقكعلـي ّ فالنصـيحة لكـم مـا صـحبتكم وتـوفير فيـئكم علـيكم ، وتعلـيمكم ، كـي لاتجهلـو ا وتـأديبكم كـي مـا تعلمـوا

[1] - شوقي ضيف ، الأدب العربي ، ج2 ، ص 127.

، وأما حقي عليكم الوفاء بالبيعة والنصح لي في المغيب والمشهد ، والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين أمركم ، فإن يرد الله بكم خيراً تنزعوا عما أكره وترجعوا إلى ما أحب ، تنالوا ما تطلبون وتدركوا ما تأملون)) [1].

من المؤكد أن النص الأدبي الذي يصبح – بسبب أهميته مستقلاً : قائماً بذاته بعد تجاوز ظرفه هو في حقيقته تعبير عن طبيعة سيدنا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه- كانت مقدرته على اللغة والبيان ، نجد أنه كان يريد إصابة المعنى دائماً – بسبب نظرته الفلسفية ، وأفكاره المجمّعة التي كان يصارع من أجل انتشارها ونظراً إلى تعدد مناحي الثورة الفكرية ، وغني طبيعة على بن أبي طالب ، فإن النص جاء محملاً بالدلالات الفنية المتنوعة فهو قمة تتويج العلاقة الحرة بين المعني والمبني .

ومن سمات الخطابة في هذا العصر إنه من الواضح من كل ما قدمنا كيف ارتفعت الخطابة وكيف تحولت إلى وعظ الناس إرشادهم إلى ما فيه كما لهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ثم أخذت ميادينها تتسع باتساع السيادة على الشعوب المفتوحة ، ثم تشعّبت منذ فتنة سيدنا عثمان شعباً كثيرة ، فمنها ما يتصل بالمناظرة والأراء السياسية و ما يتصل بالجهاد والحرب وهي في كل ذلك تستمد ما دتها من القرآن الكريم وخطابه رسول الله - صلى الله عليه وسلم – التي يمكن أن نقول ما يميز خطبه – صلى الله عليه وسلم – لم يكن خطب مواعظ فحسب، بل تشريعاً وتنظيماً للحياة ، ومن المؤكد أنه في خطابته لا

[1] - محمد عبد القادر أحمد – دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ، ص 78 .

يستعين بخلابة ولا تزويف ، وقد برئت ألفاظه من الأغراب والتعقيد والاستكراه وهي مع هذا ألفاظه جزلة لها بهاء ورونق تعمر بها القلوب وترتاح إليها الأسماع ، ولم يكن يستخدم السجع في خطابه – صلى الله عليه وسلم – بل كان ينفر منه لاستخدام الكهان له في الجاهلية [1].

المبحث الأول:

الخطابة في عهد معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية

أولاً : الخطابة في عهد معاوية بن أبي سفيان

لما قتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بايع الناس علياً بالحجاز وامتنع عن بيعته معاوية، وأهل الشام شيعة أميّة، غضباً منهم على مقتل عثمان، وقلة عناية الإمام علي - رضي الله عنه - ، بالبحث عن معرفة القتلة على حسب اعتقادهم ،فحدث من

[1] - محمد عبد القادر أحمد ، دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي ، ص 78 .

جراء ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين وافتراقهم إلى طائفتين فتحاربوا مدة من غير أن يثبت الأمر لعلي أو معاوية حتى قَتَل أحد الخوارج الإمام علي غيلة بمسجد الكوفة سنة 40هـ.[1]

ولما قدم معاوية أول مرة بعد أن خلص الأمر له تلقته رجال من قريش ووجهاوها فقالوا: ((الحمد لله الذي أعز ّ نصرك وأعلى أمرك)) فما رد عليهم جواباً حتى قصد المسجد وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أما بعد، فإني ما والله وليت أمركم حين توليته وأنا أعلم أنكم لا تسرون بولايتي ولا تحبونها، وا ِني لعالم بما في نفوسكم من ذلك ولكني خالستكم بسيفي هذا مخالسة ولقد رميت ُ نفسي على عمل ابن أبي قُ حافة، فلم أجدها تقوم بذلك ولا تقدر عليه، وأردتها على عمل ابن الخطاب فكانت نفوراً وأعظم حرباً من ذلك، وحاولتها على مثل سنيات عثمان فأبت علي ّ واين مثل هؤلاء؟ وم َن ْ يقدر على أعمالهم؟ هيهات أن ّ يدرك فضلهم أحد، من بعدهم رحمة الله ورضوانه عليهم!غير أني سلكت ُ بها طريقاً لي فيه منفعة ولكم فيه مثل ذلك، ولكل فيه موآكله حسنة ومشاربه جميلة ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة.فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم، والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه، ومهما تقدم مما علمتوه فقد جعلته دبر أُذنيوا ِن ّ لم تجدوني أقوم بحقكم كله فارضوا مني ببعضه فإنها بقابية

[1] - السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، المجلد الثاني، ص118.

قوبيهوا، إن ّ السيل إذا جاء يبري وا إذا قل أغنى. إياكم والفتنة فلا تهموا بها فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة وتدرك الاستيصال، فاستغفروا الله لي ولكم ثم نزل.[1]

نجد معاوية بن أبي سفيان في خطبته هذه استخدم الأسلوب المباشر في الحجة والإقناع واستخدم أدوات التوكيد ليؤكد لهم صدقه في القول والالتزام واستخدم أدوات التوكيد من أجل ذلك وهي القسم وا إن وقد، ونجد ذلك في قوله(فإني ما والله وليت ُ أمركم حين توليته..)و(قد رميت ُ نفسي على أمل ابن أبي قُ حافة) ونجده ذكر فضل الخلفاء الراشدين في الحكم من قبله وقلل من شأنه لإقناع الناس بو لايته عليهم حتى يبايعوه وذكر لهم أنه أفضل من غيره.

وا إن في خلافتي خير لكم ولي إذا حـ ُ قنت الدماء، ويطلب من الناس أن يرضوا بخلافته وا إنه كان قد استخدم في ذلك أسلوب الترهيب والترغيب ونهج في تلك الخطبة الأسلوب التقريري المباشر.

نهج معاوية في الحكم إنه إن ليكن خيرهم فهو خير ٌ لهم وأنه يوصي الجماعة في هذه الخطبة أن الذين أسلفوا من الصحابة أمثال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وسيدنا على بن أبي طالب رضي الله عنه يجب التحلي بخصالهم ومن يقدر على أعمال هؤلاء هيهات أن يدرك فضلهم أحد بعدهم، ولكنه سلك مسلكهم في منفعة للس وا إن لم يكن ذلك هو خير لهم في نظره، إن لحسنوا الطاعة، ولا يحمل سيفه على من لا سيف

[1] - ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، المجلد الثامن، ص132 وأورد ابن عبد ربه في العقد الفريد المجلد الرابع ، ص81 نصا مشابها له.

له يعني لا يخرج إلا على من خرج من الجماعة، كما يطلب منهم أن يرضوا بما يقدر عليه من تنفيذ في شئون المجتمع، ويحذرهم من أيقاظ الفتنة فإنها تفسد المعيشة وتكدر النعمة وتدرك الاستيصال.

وخطب معاوية ذات مرة في المدينة، فصعد منبر رسول الله- صلى الله عليه وسلم - وحمد الله وأثنى عليه ثم قال:((يا أهل المدينة إني لستُ أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق يعيبون الشيء وهم فيه، كل إمرئ منهم شيعة نفسه، فاقبلونا بما فينا، فإن ما ورائنا شرتكم وا ٍن معروف زماننا منكر زمان مضى، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت ولو أتي فالرتق[1] خير من الفتق وفي كل بلاغ ولا مقام على الرزية))[(2)]

قد خاطب معاوية أهل المدينة في هذه الخطبة بلهجة الطلب وعدم سلك ما سلكه أهل العراق كما وصفهم بالشيعة وطلب منهم أن يقبلوا معاوية على كل حاله من الأحوال ووضح المعروف والمنكر في تلكم الأزمان.

كما استخدم السجع منكر زماننا معروف زمانكم واستخدم الأضداد الرتق والفتق والخطبة على شاكلة الإرشاد والتوجيه وتحمل النصح والتوجيه مع توضيح المنكر لهذه الأمة في هذا الزمن والأزمان الماضية وكيف كان أهل العراق ولا تشبهوا بهم في طباعهم وأنتم ليستم بذلك.

[1] مادة رتق المعجم الوسيط (سد وإلتام وعكس فتق)

[2] - محمد ماهر حماده، سلسلة وثائق الإسلام، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية المتتالية ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى، ص68، (1407 هـ - 1987م)

ولما ولي معاوية أخيه عتبة بن أبي سفيان أمره موسم الحج عام41هـ والناس حديثو عهد بالفتنة، استفتح فقال:((أيها الناس إنا قد ولينا هذا الموضوع الذي يضاعف الله فيه الأجر للمحسن، وعلى المسيء الوزر،فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا فإنها تنقطع دوننا ورب ّ متمن حتفه في أمنيته،اقبلوا العافية ما قبلناها منكم وفيكم، وا ٍياكم ولو فقد اتبعت من كان قبلكم، ولن تريح من بعدكم فاسألوا الله أن يعين كلاً على كل ٍ)) فنعق به إعرابي من مؤخر المسجد فقال:(لست به ولم تبعد ، قال: فيا أخاه قال: قد استمعت فقال: والله لئن تحسنوا وقد أسانا خير لكم من أن تسيئوا وقد أحسنا، فإن كان لإحسان لكم فما احقكم باستتمامه وا ٍن كان لنا فما أحقكم بمكافئتنا رجل من بني عامر يم ُت إليكم بالعمومية ويختص لكم بالخؤولة وقد وطئه زمان وكثرة عيال، وفيه أجر وعنده شكر .فقال عتبة: استعيذ بالله منك واستعينه عليك وقد أمرت لك بغناك فليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك)[1]

وخطب معاوية في المدينة من أجل أخذ البيعة ليزيد فقال:((بعد أن حمد الله و أثنى عليه وبعد أن ذكر بيزيد وفضله:((يا أهل المدينة لقد هممت ُ ببيعة يزيد، ولا تركت ُ قرية ولا مدرة إلا بعثت ُ إليها في بيعتهفبايع الناس جميعاً وسلموا، وأخرت ُ المدينة ببيعته وقلت ببيعته و اصلة، ومن لا أخافهم فهمعليه، وكان الذين أبو ا البيعة من كان أجدر أن يصله والله لو علمت مكان أحد خير للمسلمين من يزيد لبايعت له)).

[1] - المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق إبراهيم الدلجموني، القاهرة ، المطبعة الأزهرية (د.ت.ط) ، ج3، ص311.

فقام الحسين بن علي فقال: (الله تركت مَنَ هو خير ٌ منه أباً وأماً ونفساً) يعني نفسه فقال معاوية: أنك تريدُ نفسك؟ فقال الحسين : نعم أصلحك الله، فقال معاوية: إذن أخبرك أمـ ّا قولك خير منه أماً فلعمر ي أمك خير من أمه ولو لم تكن إلا امرأة من قريش لكان لنساء قريش فضلهن فكيف وهي ابنة رسول الله- صلى الله عليه وسلم - ثم فاطمة في دينها وسابقتها فأمك - لعمر الله - خير من أمه أما أبوك فقد حاكم إياه إلى الله فقضى لأبيه على أبيك).

فقال الحسين:(حسبك جهلك آثرت العاجل على الآجل) فقال معاوية:وأمـ ّا ما ذكرت من أنك خير ٌ من يزيد نفساً فيزيد والله خير لأمة محمد منك).

فقال الحسين:((هذا هو الإفك والزور فيزيد شارب الخمر ومشتري اللهو خير مني؟)) فقال معاوية : مهلاً على شتم ابن عمك، فإنك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك ثم التفت معاوية إلى الناس فقال:((أيها الناس لقد علمتم أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم -قبض ولم يستخلف أحد فرأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر وكانت بيعته بيعة هدى فعمل بكتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم - فلما حضرته الوفاة رأى أن يستخلف عمر بكتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم - وصنع عمر ما لا يصنعه أبو بكر كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين، فذلك رأيكُ أن أبايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف ونظراً لهم بعين الإنصاف.[1]

[1] -ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، الأمامة والسياسة، تحقيق محمد محمود الرافعي، القاهرة مطبعه النيل، ج1، 1904م، ص 297

نهج معاوية أسلوباً جديداً في خطبته هذه على المسلمين وهو توليه لابنه وجعل الحكم وراثي بعد أن كان شورى بين الناس ؛" و أستخدم أسلوباً جديد في أنه أثبت لهم أن أهل القر ى والأمصار بايعوا على ولاية يزيد ولم يحصل و هذا أصلاً مراوغة منه لكسب البيعة له واستخدم أسلوب الحوار المباشر أمام الناس مع الحسين بن علي. وقال إن ابنه أصلح للمسلمين من غيره مع أن المسلمين يعلمون أن ابنه مشهور بخلاف ما ذكر، إ ستخدم في خطبته نوع من التبطينوالغموض، و أثبت للناس أن لكل خليفة أسلوباً في اختيار من يخلفه مستنداً على ما سبق.

أن الرسول - صلى الله عليه وسلم -لم يلزم الناس بخليفة بعده و أبو بكر الصديق سلك طريقاً مخالفاً وأنه أيضا سلك طريقاً مخالفاً . استخدم أسلوب النداء لجذب انتباه المسلمين له كما نجد استخدام عدة فنون وأساليب بلاغية منها الطباق في قوله: (العاجل والآجل) ونجد السجع في قوله:(ختلاف وا إنصاف).

ومن خطب ولاة معاوية أن عمر بن سعيد بن العاص الأشدق خطب أهل المدينة عندما أصبح والياً عليها وقد اجتمع الناس في مسجد رسول الله- صلى الله عليه وسلم - وبدأوا ينظرون إليه قال:(مالكم يا أهل المدينة ترفعون إلي ّ إبصاركم كأنكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم، أغركم بأنكم قتلتم عثمان فوافقتم ثائرنا منا رفقياً؟ فقد فني غضبه وبقى حلمه، اغتنموا أنفسكم فقد – والله - ملكناكم بالشباب المقتبل البعيد الأمل الطويل الأجلحين فرغ به الصغر ودخل في الكبر، حليم ٌ جدير ولين شديد رقيق كثيف حين

اشتد عظمه وأعتدل جسمه ورمى الدهر ببصره، ستقبله بأثره فهو إن عض نهش وا ن سطا فرس لا يقلقل له الحصى ولا تقرع له العصا ولا يمشي السُ مّ هى)[1]

وقد وصف سعيد بن العاص في خطبته هذا موضحاً نظرة أهل المدينة له وا نهم قد أغرتهم قتلهم سيدنا عثمان- رضي الله عنه - ويوصف لهم ملك هذه الجامعة من أهل المدينة أصبح تحت سيطرتهم وهم يشكلون الشباب القوي صاحب الهمة العالية ويصف جيشه بالحلم والقوة واللين والشدة وما يملك من عدة وعتاد وخيل لها صول وجول في خوض الحروب وهي خطبة تشمل الوعيد والتهديد.

ولما استعمله أبوه و الياً على مكة دخلها فقام: على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد يا معشر أهل مكة فإنا سكناها حفية وخرجنا منها رغبة، ولذلك كنا إذا رفعت لنا لهوة بعد لهوة أخذنا سناها، ونزلنا أعلاها ثم شرخ أمر بن أمرين،فقتلنا وقُتلنا فو الله ما نزعنا ولا نُزع حتى شرب الدم دماً وأكل اللحم لحماً وقرع العظم عظماً ،فولى رسول- صلى الله عليه وسلم - برسالة الله إياه واختياره له، ثم ولى أبو بكر لسابقته وفضله ثم ولى عمر، ثم أجلبت قداح عن شعب حول نبعه ففاز بحظها أصلابها و اعتقها فكنا بعض قداحها ثم شرخ أمر بين أمرين فقتلنا وقُتلنا،فو الله ما نزعنا ولا نُزع حتى شرب الدم دماً واكل اللحم لحماً وقرع العظم عظماً وعاد الحرام حلالاً، وأسكت كل ذي حس عن ضرب مهند عركاًعركاً وعسفاً عسفاً، وزخراً ونهشاً* حتى طابوا عن حقنا

[1] - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص132

* النهش أكل اللحم بمقدم الاسنان، مادة نهش لسان العرب ، ج6 ،ص244

نفساً، والله ما أعطوه عن هوادة ولا رضوا فيه بالقضاء أصبحوا يقولون حقنا غلبنا عليه فاخ ينا هذا بهذا يا أهل مكة، أنفسكم أنفسكم وسفهائكم سفهائكم!فإن معي سوطاً نكالاً وسيفا وبالاً، وكل منصوب على أهل)[1]

أن هذه الخطبة استخدمت الأسلوب التقريري المباشر حيث بدأ بالنداء لجذب انتباه أهل مكة له وما يدليه من أمرٍ في ولايته لهم لأنه من أهل مكة واثبت لهم هذا عن طريق الكناية في قوله(سكناها حفيه) وهي كناية عن الصغر وخرج منها برغبته دون إكراه من أحد.

كما استخدم السجع في قوله (سناها و علاها) كما يخبر بأنهم قاتلوا في سبيل الحق وقتلوا مثل غيرهم من أهل مكة واستخدم في ذلك الألفاظ التي تدل ذلك من الدم واللحم والعظم وفي أسلوبه يقصد بأن الحكم لله وحده يؤتيه من يشاء وليس للإنسان يد في ذلك ويكون اختيار الحاكم بصورة متعددة لان الرسول لن يختار أحد واختير أبو بكر لسابقته وفضله في الإسلام وأن أبا بكر اختار عمر وأن عمر جعل الأمر شورى في ستة يريد أن يخير الناس بانشغالهم بالدنيا وتركهم للجهاد في سبيل الله.

وبين بأن الناس أصبحوا يأخذون حقوق الغير من غير حق ويقول هذا جزاء لنا بأعمالنا حيث ختم خطبته بأسلوب فيه شيء من التهديد والوعيد حتى يرجعوا إلى الصواب وتركهم مخالفته وهو أسلوب حكام بنو أمية.

[1] - ابن عبد ربه، العقد الفردي، ص133

إن هذه الخطبة جاءت على شاكلة الوعظ والإرشاد موضحاً أنه سكن مكة من قبل حقبة من الزمان وخرج منها رغبة والمقصود بذلك أهله وأسلافه من السلف الصالح ثم يوضح الجهاد الذي دار فيه من أجل الدعوة قُتل منهم أناس وقتلوا أيضاً وتنازوعوا حتى دار الدم بينهم في الحرب والقتال منذ فجر الإسلام عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعمر وأبو بكر - رضي الله عنهم- ولقد أخذنا حقنا لا عن خضوع ولا عن هوادة ولا عن طريق القضاء.

ثم بدأ يوعدهم ويهدد أنفسكم أنفسكم وسفهائكم سفهائكم فإن معي سوطاً و أصبح يصف في حاله.

ولما أدعى معاوية زياداً أخاً له وستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان، وصار يسمى زياد.

بن أبي سفيان بدل من زياد بن عبيد أو ابن سمية، أو ابن أبيه، وولاه معاوية العراقيين فهو أول من جمع له بينهما فسار في الناس سيرة لم ّ بها الشعث وقوم المعوج وكبح الفتنة، واشتد في العقوبة وأخذ بالظن وعاقب على الشبهة، حتى شمل خوفه جميع الناس فأمن بعضهم بعض، فكان الشيء يسقط من يد الرجل والمرأة فلا يعرض له أحد بل كان لا يقلق أحد بابه.

ومن خطبه البليغة خطبته البتراء حين قدم إلى البصرة والياً لمعاوية عليها، وسميت هذه الخطبة بالبتراء لأنه بداها دون أن يحمد الله قال فيها:((أما بعد فإن

الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغي والموفي بأهله على النار ما فيه سفهائكم ويشتمل عليه حلمؤكم، ومن الأمور العظام التي ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما اعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول أن نكون كمن طرفت عينة الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه من تركككم الضعيف يقهر والضعيفة المسلوبة في النهار لا تنصر والعدد غير قليل والجمع غير مفترق ألم يكن منكم نهاة يمنعون النواة عن دلج الليل وغارة النهار)).

فربتم القرابة وباعدتم الدين تعترزون بغير العزر وتغضبون عن المنكر، كل امرؤ منكم يرد عن سفيهه صنع من لا يخاف عقباً ولا يرجوا معاداً، فلم يذل بهم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ثم أطرقوا وراءكم كنوساً من مكانس الريب.

حرام علي ّ الطعام والشراب حتى أضع هذه الموازيخ بالأرض هدماً وا ٍحراقاً واني ر أيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف ولا ٍني لأقسم بالله لأخذ الوالي بالمولى والمقيم بالظاعن والمطيع بالعاصي، حتى يلقى الرجل أخاه فيقول أنجو سعد فقد هلك سعيد) أو تستقيموا لي قناتكم إن كذبة الأمير بلقاء مشهورة، فإذا تعلقتعلي ّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي وقد كان بيني وبين قوم إحنوجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي وا ٍني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من

بغضي لم أكشف له قناعاً ولم أهتك له ستراً حتى يبدي لي صفحته فإذا فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدومنليسير ُ مسروراً بقدومنا ومسرور ٌ بقدومنا سيبتئس.

أيها الناس إنا قد أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونزود عنكم بفيء الله الذي خولنا،فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا)[1]

والخطبة حسنة التأليف مقسمة إلى فقرات وكأن لكل فقرة واحدة قائمة بنقسها على غير ما عهدناه في الخطابة القديمة، تتسلسل الأفكار في إيجاز محكم في غير غموض ولا تعسف في قوة تستمدها من عاطفة شديدة تعصف بالكلام عصفاً، فيجري على الأساليب المتنوعة متغلباً بين تحذير وتهديد و وعد ووعيد وضروب في الاستفهام والقسم والتعجب وما إلى ذلك مما يكسب الكلام حياة قوية فيترك في النفوس أثراً عميقاً .كل ذلك في صياغة حسنة وعناية باللفظ ظاهرة وعبارات لا تخلو من التشبيه والاستعارات وموسيقى شديدة الإيقاع.

أنك ترى في خطبته هذه القطعة التي بدأت من قوله:((أما بعد فإن الجهالة الجهلاء.... مكانس الريب))قد تر ى مدى عناية زياد بتأليفها يستهلها ببيان غواية المجتمع البصري وضلالتهم وانحرافهم عن هدى الإسلام والقرآن.[2]

---

[1] - السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ص122.
[2] - أبو زهرة محمد ، الخطابة وأصول تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، ص 75.

حيث بين لهم سياسته وهي لين في غير ضعف وشدة من غير عنف وتجتمعا بالوعيد الشديد يشوبه بالترغيب ولعل زياد قد شعر بأن أهل البصرة قد نسوا بوعده ووعيده فلهذا يختتم كلامه بما يردهم إلى الحيطة والخوف و انزرهم عن التمادي في الباطل ونرى في قوله(إني اقسم بالله لأخذن الولي بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصي والصحيح بالسقيم).

أما أنه قد بنى الخطبة على أساليب مختلفة كلي يلقى ومن ر أيه على الناس ويقنعهم ويخضعهم أمام ولايته ومن هذه الأساليب. عدم االتسميه وحمد الله تعالى في الخطبة ولعل هذا يرجع إلى خطير أمر مجتمعه كما استخدم أسلوب النداء في قوله: ((أيها الناس إنا أصبحنا لكم ساسة....)) وأسلوب الطباق في قوله ((كالسفهاء والحكماء الصغير الكبير الثواب والعذاب...))ومردّ ذلك إلى موضوع الخطبة ورغبته في إجراء المقابلة بين الأضداد.

كما استخدم أسلوب الإطناب ليعالج موضوع الفساد والاضطراب السياسي والاجتماعي كما استخدم أسلوب السجع في قوله (إن الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء) أو في قوله (ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير) كما استخدم المنهج بين أسلوبي النفي والإثبات في قوله((ما أنتم بالحكماء ولقد اتبعتم السفهاء)).

اعتمد زياد في خطبتهيضاً على ضروب من التشبيهات والاستعارات وا ِن كان لا يكثر من ذلك أنه على أي حال يعني بالمهارة البيانية في خطابته وقد جاءت هذه

الخطبة صلبة مناسبة للمقام الذي قيلت فيه، وبهذا الشكل يدل على أنها لم تكن مرتجلة وأعدت إعداداً فنياً محكماً .[1]

أما قيمة الخطبة السياسية فإنها بينت للناس أنه جاد غير هازل فيما أعلن من نذير.

وهذه الخطبة أشبه بالتصريحات الوزارية من حيث إبانتها أغراض الحكم الجديد ومذاهبه ،رمى فيها إلى قمع كل ثورة وفتنة وحمل الناس إلى الإذعان والخضوع ثم عرض للإصلاح فكانت وسيلته الشدة والقسوة، وا ذا دستور العقوبات ينال كل ذنب بعقوبة، وهو يلين هذا الدستور بالوعود السارة للمذعنين الخاضعين ويتناسى الأحقاد وأسباب العداء. وبعد ذلك يدعو إلى طاعة بني أمية فيثبت حقهم بالخلافة فهي من الله، وهي من ثم جديرة بأن تطاع.[2]

هكذا كانت هذه الخطبة أشبه بالأحكام العرفية منها بالخطب السياسية العادية هي تجمع الصرامة والقوى إلى الوعود المعسولة وقد كان زياد حسن الألفاظ جيد المعاني كأنما أُتى فصل الخطاب.[3]

ومن خطبه في عهد معاوية أنه قدم عليه وفٌ فطلب سحبان بن رف بن إياد الوائلي ليتكلم وكان معاوية يعده للملمات، ويتوكأ عليه عند المفاخر فقال سحبان: احضروا لي عصاً، قالوا وما تصنع بها وأنت في حضر ة أمير المؤمنين؟ قال:ما كان

[1] - أبو زهرة محمد ، الخطابة وأصول تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، الطبعة الثانية،1980م، بيروت ،دارالفكر العربي.
[2] - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص328.
[3] - شوقي ضيف، الفن مذاهبه في النثر العربي،ط11 ، (د.ت.ط) ، ص73

يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه، فضحك معاوية وأمر له بإحضارها،،ثم خطب من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر، ما تنحنح ولا سّ عل ولا تلكأ ولا ابتدأ في معنى وخرج منه وقد بقى منه شيء،فما زالت تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون فقال معاوية:أنت أخطب العرب ،قال سحبان و العجم والجن والإنس وكان سحبان إذا خطب يسيل عرقاً، ومات في خلافة معاوية ومما يؤثر من خطبه قوله:(إن الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار أيها الناس فخذوا من دار ممركم إلى دار مقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ،قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم، إن الرجل إذا أهلك قال الناس، ما ترك وقال: الملائكة ما قدم؟ قدموا بعضاً يكن لكم ولا تخلفوا كلاً)[1]

أن هذه الخطبة في طابعها إرشادية وواعظة حيث يعظ الناس بأن يلتفتوا من غفلتهم بأن يتجهوا إلى الدعوة إلى الله وتبليغ ما أمر الله به حتى يكون لهم حجة على الله يوم القيامة فلعلكم بأخذ هذه الدنيا وسيلة لكم تعبروا بها إلى الآخرة حيث النعيم المقيم، إن الحياة في هذه الدنيا لغاية وهي عبادة الله واستخلافه في هذه الأرض لعمارة واستثمار خيراتها وقف ما شرع الله عندما ينقضي الأجل يسأل الناس عن المرحوم ماذا ترك من الإرث؟ وتقول الملائكة ماذا قدم لحياته؟ التي تمتد بعد الموت إما نعيم أو جحيم.

ثانياً : الخطابة في عهد يزيد بن معاوية:

[1] -السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ص120.

لما مات معاوية ولى بعده يزيد أرسل إلى و اليه على المدينة الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان يخبره بموت والده وتوليه الخلافة من بعده، ويطلب منه أن يأخذ له البيعة من الناس، ولاحظ الوليد إبطاء من الناس على البيعة فقام فيهم روح بن زنباع فقال: بعد أن حمد الله وأثنى عليه:((أيها الناس إنا لا ندعوكم إلى لخم وجزام وكلب ولكنا ندعوكم إلى قريش ومن جعل الله له هذا الأمر و اختصه به هو يزيد بن معاوية نحن أبناء الطعن والطاعون وفضالات الموت وعندنا إن أجبتم و أطعتم من المعونة العائدة ما شئتم فبايع الناس))[1]

يوضح في خطبته أن الأمر والخلافة من أحق بها هو يزيد بن معاوية والخطبة عبارة عن بيان دستوري يكفل حق الخلافة إلى يزيد بن معاوية وهذا أمر قد خصه به الله سبحانه وتعالى مما تبقى من الناس عليهم الطاعة ولهم المعونة في حياتهم إذا كانوا مطيعين وبايعوا الخليفة يزيد وهي على شاكلة النصح والإرشاد.

ولما قدم الحسن بن علي بصحابه واقترب من الكوفة ورده نبأ فشل حركة مسلم بن عقيل ومصرعه وأرسل له ابن زياد جيشاً بقيادة الحر بن يزيد فلما حان موعد صلاة الظهر أذن أحد أصحاب الحسين، فلما حضرت الإقامة فقام الحسين فخطب في الجميع فقال:((أيها الناس فإنها المعذرة إلى الله عز وجل وا إليكم وأني لم آتكم حتى أتتني كتبكم وقدمت علي ّ رسلكم أن أقدم علينا فإنه ليس لدينا إمام لعل الله يجمعنا بك على الهدى فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فإن تعطوني ما أطمئن عليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم

[1] - الجاحظ، البيان والتبين، ج1 ،ص392.

مصرعكموا إن تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم))[1]

يوضح في هذه الخطبة بأنه أتى بعد ما طلب منه ذلك بما قدم إليه من كتب ورسل وبالرغم من ذلك يقدم خطبته بالاعتذار وها أنا اليوم معكم فإن تعطوني ما أطمئن عليه من عهود ومواثيق وبالرغم من ذلك لم تؤثر الخطبة في جنود الحر بن يزيد. ولما حان موعد صلاة العصر صلى الحسين بالناس ثم أقبل على جنود الحر بن يزيد بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:((أما بعد أيها الناس فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق وأهله يكن أرض الله ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان وا إن أنتم كرهتمونا و أضعتمحقنا وكان ر أيكم غير ما كتبتم وقدمت به رسلكمفطرفت ُ عنكم))[2]

ولكن هذا الكلام لم يؤثر في أصحاب ابن زياد ولم يجعلهم ينضمون إليه أو يسمحون له بالرجوع فخطب الحسين قبل نشوب القتال بينه وبين جيوش ابن زياد مباشرة فقال:((أيها الناسسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما للحق لكم علي ّ وحتى أعتذر إليكم من قدومي عليكم فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي و أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم علي ّ سبيل ، وا إن لم تقبلوا منى عذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم فاجمعوا

[1] - الطبري، تاريخ الملوك، ج4، ص303
[2] - الجاحظ ، البيان والتبين،ج1، ص392

شركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ّ ولا تنظرون، وا ِن وليي ّ الله الذي أنزل الكتاب وهو يتولى الصالحين))

ولما سمع أخواته كلامه صحن وبكين أرسل إليهن يأمرهن بالسكوت، فلما سكتن حمد الله أثنى عليه وذكر الله بما هو أهل له وصلى على رسول الله- صلى الله عليه وسلم وعلى ملائكته و أنبيائه ثم قال:((أما بعد فانسبوني أنظروا من أنا؟ ثم أرجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فاظروا هل يحل لكم قتلي و انتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيكم - صلى الله عليه وسلم - وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدقين لرسوله بما جاء به من عند ربه؟ أولس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الطيار ذو الجاحين عمي؟ أولم يبلغكم قولي مستفيض فيكم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل الجنة! فإن صدقتموني بما أقول هو الحق والله ما تعمدت كُذباً منذ علمت ُ إن الله يمقت عليه أهله ويضر به من أختلقه فإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري و أبا سعيد الخضري أو سهل بن الساعدي أو زيد بن الأرقم أو أنس بن مالك يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لي ولأخي، أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟))[1]

ثم تابع الحسين قوله:((فإن كنتم في شك من هذا القولفتشكون أثراً ما أتى ابن بنت نبيكم؟ فو الله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم أنا

[1] - محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص92

ابن بنت نبيكم خاصة، أخبروني وأطلعوني بقتل منكم قتلته، أو مال لكم استهلكته أو قصاص من جراحة؟ ولما لم يسمع جواباً فنادى يا شبث بن ربعي ويا حجار بن أبجر ويا قس بن الاشعث ألم تكتبإلي ّ : أن أقدم أينعت الثمار واخضر الجناب وطاحت الجماجم، وا ٍنما تقدم على جند لك من جند لا أقبل؟ قالوا:لم نفعل فقال:سبحان الله! بلى والله.

ولقد فعلتم . ثم قال: أيها الناس أذا كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم إلى ما مني من الأرض، فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم بن عمك؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب، ولن يصل إليك منهم منكروه.فقال الحسين: أنت أخو أخيك أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لاعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر ّ إقرار البعيد. عباد الله إني عذت بربي وربكم أن ترجمون.

عباد الله چ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ ف ف ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڃ چ [1]

ولما ايقن الحسين بأن القوم قاتلوه قال لأصحابه بعد أن حمد الله وأثنى عليه:((قد نزل بي ما ترون من الأمر وا ٍن الدنياقد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها و أشمعلت فلم يبقى منها صبابة كصبابة الإناء الاخلس،عيش كالمر اعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به، والباطل لا ينهى عنه، ليرغبن المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا لاً وندماً .[2] ثم قال إن القوم ليس يقصدون غيري وقد قضيتم ما عليكم

[1] - سورة غافر الأية،27
[2] -ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص380

فانصرفوا فأنتم في حل)). ولكن القوم أبوا إلا اللقاء معه والبقاء معه حتى النفس الأخير.[1]

وتتضح من خلال هذه الخطبة أن الحسين بن علي كان يحاول إقناع الناس بأن يبايعوه وهم الذين طلبوا منه ذلك ولكن أن الأمر لم يتيسر له.

ودلت هذه الخطبة على النصح والإرشاد ومدح النفس بأنه من أهل البيت وأحق بالولاية من غيره، وعندما لم يتحصل على ذلك يصف الدنيا بالتغيير والتنكير والخطبة في مجملها دعوة إلى المبايعة والرجوع إلى آل البيت ويعتقد بأنهم أحق من الناس بالخلافة جميعاً.

ولما ورد مصرع الحسين قام ابن الزبير في مكة خطيباً فعظم مصرعه وأعاب الكوفة ولام أهل العراق عامة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله- صلى الله عليه وسلم:((أهل العراق فجّرة إلا قليلاًوا ن أهل الكوفة شرار أهل العراق وأنهم دعوا حسيناً لينصروه ويولوه عليهم ،فقدم عليهم ثاروا عليه فقالوا له:أما أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد راسية سلماً فيمضي فيك حكمه، وا ما أن تحارب؟ فرأى أنه وأصحابه قليل في كثير، وا ن كان الله عز وجل ولم يطلع الغيب أحداً أنه مقتول ولكنه اختار الميتة الكريمة وعلى الحياة الذميمة،فرحم الله حسيناً وأخذى قاتل الحسين.

[1] - محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص94

لعمري لقد كان من خلافهم إياه وعصيانهم ما كانفي مثله وأعظ وناهٍ لهم ولكنه قاحم نازل وا ٍذا أراد الله أمراً لن يدفع، فبعد الحسين نطمئن لهؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً؟ ولا نراهم لذلك أصلاً، أما والله لقد قتلوه طويل بالليل قيامه كثير في النهار صيامه أحق بما فيهم منه وأولى به في الدين والفضل أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء ولا بالبكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطالب الصيد -يعرض بيزيد فسوف يلقون غياً)[1]

يورد ابن الزبير في خطبته هذه ما عاب به أهل الكوفة وأهل العراق عامة ووصفهم بالفجر وأهل الكوفة بأنهم أشر أهل العراق. وأنهم خانوا الحسين في البيعة فبعثوا به إلى ابن زياد ولكن الحسين اختار أن يموت عزيزاً كريماً وان الأمر الذي حصل ليس بوعظ لا نهي وكان يصف الحسين بأنه طويل القيام بالليل والصيام بالنهار ولا يبدل القرآن بالغناء ولا بالبكاء من خشيةالله بالحداء وبذكر الله كثيراً .

ولما بلغ أهل المدينة سير جيش يزيد نحوهم نصّبوا رئيساً لهم عبد الله بن حنظله الفسيل وبايعوه على الموت فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:((أيها الناس إنما خرجتم غضباً لدينكم فابلوا لله بلاء حسناً ليوجب لكم به الجنة ومغفرته ويحل بكم رضوانه واستعدوا بأحسن عدتكم فقد أخبرتُ بأن القوم قد نزلوا بذي خشب، ومنعهم مروان بن الحكم والله إن شاء الله مهلكه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله

[1] s - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج4 ،ص364 ، وأورد ابن أثير أبو الحسن عز الدين في الكامل في التاريخ ، القاهرة دار الطباعة والمنبرية ، (1448هـ) ، ج3 ، ص 305، نص هذه الخطبة بشكل يكاد يكون مطابق لهذا النص .

صلى الله عليه وسلم فتصايح الناس وجعلوا ينالون من مروان ويسبونه فقال لهم: إن الشتم ليس بشيء ولكن نصدقهم اللقاء، والله ما صدق قوم قط إلا نصروا ثم رفع يده إلى السماء وقال: اللهم إنلك واثقون وعليك متوكلون وا ٍليك ألجانا ظهورنا[1]

ولما حمي وطيس القتال بين أهل المدينة وجند الخليفة ركب قائد جيش يزيد مسلم بن عقبة فرساً له وأخذ يسير في أهل الشام ويحرضهم ويقول:((يا أهل الشام إنكم لستم بأفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها ولا أكثرها عدداً ولا أوسعها بلداً ولم يخصصكم الله بما خصكم به من النصر على عدو وحسن المنزلة عند ائمتكم إلا بطاعتكموحسن استقامتكم إن هؤلاء القوم و أشباههم من العرب غيروا فغير الله بهم فتموا على أحسن ما كنتم عليه من طاعة يتمم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفلاح ثم قال : يا أهل الشام ما جعلكم الله أولى بالأرض منكم بحصين بن نمير أنزل في جندك)).

ولما لاحت الهزيمة لعبد الله بن حنظله خطب فقال:((يا هؤلاء إن عدوكم قد أصاب وجه القتل الذي كان ينبغي أن تقاتلوهم به وا ٍني قد ظننت ألا تلبثوا إلا ساعة حتى يفصل الله بينكم وبينهم إما لكم وا ٍما عليكم، أما وأنكم أهل البصرة ودار الهجرة والله ما ظن ربكم أصبح عن أهل بلد من بلدان بسخط من هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم.

[1] -ابن قتيبة، الإمامة السياسية، المجلد الأول، ص322

إن لكل إمرئٍ منكم ميتة هو ميت بها والله ما من ميتة بأفضل من ميتة الشهادة وقد ساقها الله إليكم فاقتتموها فو الله ما كل ما أردتموها وجدتموها.[1]

يصيف عبد الله بن حنظله جيش يزيد وهو قادم إلى المدينة وبايعوه على الموت بمعنى أنهم مجاهدون في سبيل ذلك حتى الموت.

يأمرهم عند خروجهم إنهم من أجل الله سبحانه وتعالى ودينه القويم وشرعه المتين وثواب الله في ذلك الجنة والمغفرة والرضى على عباده.

ما يحثهم على الاستعداد لمقابلة عدوهم لأنهم نقضوا العهد والميثاق الذي كان بينهم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلت الأصوات غضباً على مروان بن الحكم كما كان يحثهم على الصدق وهو عنوان الفلاح والنصر وكان في كل هذه الأحوال يتضرع إلى الله بالدعاء.

إن هذه الخطبة في مجملها أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وهي أشبه بالتخطيط الاستراتيجي لأهل المدينة للحفاظ على شرع الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وا ٍن شهادة في سبيل الله خيرٌ من غيرها من الميتة التي تكونوا فيها.

[1] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المجلد الرابع ، ص375

المبحث الثاني

الخطابة في عهد مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان

أولاً : الخطابة في عهد مروان بن الحكم:

لجأ يزيد إلى المبايعة المبكرة لأكبر أبنائه الذي سماه معاوية فبايعه جميع الناس إلا ابن الزبير و أهل مكة وقد كان معاوية صغير السن لم يتجاوز عمره عندما بويع سبعة عشر عاماً ، ومرت الدولة الأموية في عصره بظروف صعبة، وظفر بن الزبير بمبايعة الحجاز

والعراق ومصر واليمن ولقد ضاعت سيرة هذا الخليفة بين أصداء الفتن وربما مات مسموماً أو مطعوناً .[1]

تولى الخلافة بعده مروان بن الحكم الذي أرسل جيشاً بقيادة حبيش بن دلجة ضد جيش كان أرسل ابن الزبير لغزو بلاد الشام، ولقد هزم جيش حبيش ابن الزبير واحتل المدينة المنورة وخطب ابن دلجة في مسجد المدينة فقال:((يا أهل المدينة نفاقكم قديم يقول الله تعالى چ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى چ [2]كيف ريئم صنع الله بكم؟ والله لا يتكلم احدٌ منكم كلمة إلا ضربته بسيفي هذا.[3]

وكان حبيش هذا يأكل التمر على منبر الرسول صلى الله عليه وسلم ويقذف أهل المدينة بالنوى ويقول إني لا علم أنه ليس يؤكل التمر ولكني أحببت أن أعلمكم هو أنكم علىّ .[4]

بدأ في خطبته هذه يخبر أهل المدينة بما كانوا عليه من نفاق قديم ويذكرهم قول الله هو حينما تلا الأية في سورة الأحزاب التي تدل على أن هناك منافقون ومرجفون. ثم استخف بهم وبدأ يأكل التمر ويرمي القوم بالنوى حيث يبث فيهم الرعب والخطبة في مجملها تشمل القوة والتسلط.

---

[1] - أبن الأثير أبو الحسن عز الدين ، الكامل في التاريخ ،القاهرة ،دار الطباعة ،1348هـ ، تصحيح عبد الوهاب النجار ، المجلد الثالث، ص319.

[2] - سورة الاحزاب الاية 60

[3] - البلازري ، انساب الإشراف، المجلد الخامس، ص125

[4] - محمد ماهر حماده، الوثائق السياسية والإدارية، ص118

ولما وصلت أنباء قتل عبد الملك بن مروان عمر بن سعيد الأشدق إلى مكة صعد ابن الزبير المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:((أيها الناس إن عبد الملك بن مروان قتل لطيم الشيطان چ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ چ [1]

وقدم علي بن الزبير وفد من العراق فاتوه في المسجد الحرام فسلموا عليه فسألهم عن أخيه مصعب وعن سيرته فيهم فأثنوا عليه خيراً وقالوا خيراً وذلك في يوم جمعة فصلى ابن الزبير بالناس الجمعة ثم صعد المنبر فحمد الله ثم قال:((يا أيها الناس إني قد سألتُ هذا الوفد من أهل العراق عن عاملهم مصعب بن الزبير فأحسنوا الثناء عليه وذكروا عنه ما أحب إلا أن مصعباً أطيب القلوب حتى لا تعدل به، والأهواء حتى تحول عنه استمال الألسن بثنائها والقلوب بنصائحها والأنفس بمحبتها وهو المحبوب في خاصته والمأمون في عامته، بما أطلق الله به لسانه من الخير وبسط به يديه من البذل.[2]

ولما ورد نبأ مصرع أخيه مصعب أضرب عن ذكره حتى تحدث بذلك العبيد والإماء فأسلك المدينة ومكة وأخيراً صعد المنبر وجبينه يرشح عرقاً ثم قال:((الحمدُ لله ملك الدنيا والآخرة يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير، ألا أنه لايذل الله من كان الحق معه ولا يعز من كان أولياء الشيطان حزبه، إنه أتانا خبر من العراق لحزننا و أفرحنا هو قتل مصعب،

[1] - سورة الانعام الاية 129
[2] - ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق حسن تميم، المجلد الخامس، ص827

فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه عند المصيبة ثم يروي من بعد ذلك إلى كريم الصبر وجميل العزاء وأما الذي أفرحنا فإن القتل له شهادة يجعل الله لنا وله ذلك الخيرة، إنا والله لا نموت حبجاً كميتة آل أبي العاص وا ٍنما نموت قعصاً بالرماح وقتلاً تحت ظلال السيوف، إلا وأن الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه ولا يتبدل، فإنلثقالدنيا علي ّ لا آخذها الأشر البطر وأن تدبر عني لا أبكي عليها بكاء الحزين المهين))[1]

إن الخطبة في أسلوبها تأتي على شاكلة توضح منهاج عمل أخيه الذي قتل وكان الحق معه وا ٍن قتله كان شهادة وليس ميتة عادية وا ٍن الشهادة منفعة له. ولأهل من بعده وهذا الأمر رباني يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويزل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير وبدأ يشرح في خبر موت أخيه الذي أصابهم بذلك اللوعة والحمية.

ويفتخر بنفسه وأهله بأنهم لا يموتون حجباً وا ٍنما بالرماح والسيوف، وأن الدنيا عارية لاميلكها إنسان فإن أقبلت علينا لا آخذها الأشر البطر وا ٍن أدبرت لا نبكي عليها ولا نحزن لذلك.

وخطب ابن الزبير أصحابه بعد صلاة الفجر في اليوم الذي قتل فيه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:((اكشفوا وجوهكم حتى أنظر وعليها المغافر والعمائم فكشفوا وجوههم

[1] - المسعودي أبو الحسن على بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين ، ط3 ، القاهرة ج3 ، ص119، المكتبة التجارية الكبرى ، 1958م ، وأورد الخطبة ابن قتيبة في عيون الأخبار ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، وزارة الثقافة ، 1963م، ج2 ص 240.

فقال: يا آل الزبير لو طبتم لي نفسنا عن أنفسكم كنا آل بيت من العرب اصطلحنا في الله لم تصبنا زُباء البتة أما بعد يا آل الزبير فلا يرعكم وقع السيوف فإني لم أحضر موطناً قط إلا أرتثثت فيه من القتل وما أجد من دواء جرحها أشد مما أجد من ألم وقعها صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم،لا أعلم أمرءاً كسر سيفه واستبقى نفسه فإن الرجل إذا ذهب فهو كالمرأة أعزل غضوا أبصاركم من البارقة وليشغل كل أمرئي قرنه ولا يلهينكم السؤال عني ولا تقولون:ابن عبد الله الزبير ، إلا من كان سائلاً عني فإني والرعيل الأول احملوا على بركة الله ثم حمل بهم حتى قتل))[1]

أن الخطبة في مجملها تدعو إلى التماسك والوحدة وعدم التفرقة بين المسلمين وآل الزبير خاصة ويدعوهم أن لا يروعهم الموت وهي عبارة عن إرشاد ونصح وتوجيه ولما قتل بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فأمر الحجاج بالناس فتجمعوا في المسجد فصعد المنبر فقال بعد أن حمد اللهو أثنى عليه((يا أهل مكة بلغني أكابركم قتل بن الزبير إلا وان ابن الزبير كان خيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها أهلها فنزع طاعة الله واستكن بحرمة الله لو كان شيء ما نع العصاة لمنعت آدم حرمة الله إن الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، واسجد له الملائكة و أباح له كرامته واسكنه جنته، فلما أخطأ أخرجه من جنته بخطيئته، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة أذكروا الله يذكركم))[2]

---

[1] - الطبري، تاريخ الملوك، المجلد الخامس، ص32 ورد نص مطابق للنص اعلاه في شرح نهج البلاغة لأبي الحريز،ج5، ص816

[2] - ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، المجلد التاسع، ص120

إن الخطبة في مجملها تمثل الوعظ والإرشاد وان الموت حقاً علينا كلنا ولو كان أحق لإنسان بالخلود لكان سيدنا آدم وأبونا الذي خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه كان باقيا وحياً ومنعماً في الجنة إن قتل ابن الزبير هذه سنة الحياة وا ٍنه خيار هذه الأمة ولكن ليس بالأفضل وليس له الحق في البقاء، وأن آدم أخرج من الجنة بالخطيئة التي أرتكبها وابن الزبير خرج من مكة.

الخطبة فيها ضر ب المثل وقوة الحجة والإقناع وهو يدين الحجاج في الخطبة إن الخطبة واعظة وراشدة وعليكم بذكر الله فإنه أنفع من كل شيء في هذه الدنيا.

ولما رفض أهل الشام مبايعة ابن الزبير بالخلافة وهو نفسه قطع ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في خطبته وهاجم بني هاشم وبلغ الخبر ابن عباس فخرج مغضبا فأتى المسجد الحرام وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال:((إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا آخر فيا عجباً كل العجب لافترائه وكذبه والله إن أول من أخذ الإيلاف وحمى عيرات قريش لهاشم، وا ٍن من سقى بمكة عذباً وجعل باب الكعبة ذهباً لعبد المطلب والله لقد نشأت ناشئتنا مع ناشئة قريش وا ٍن كنا لقالتهم إذا قالوا وخطبائهم إذا خطبوا وما عندمحمداً كمجد أولنا وما كان في قرشمجدّ لغيرنا لأنها في كفرٍ ماحق ودين فاسق وضلت ضلالة ،وفي عشواء عمياء، حتى اختار الله تعالى لها النور وبعث لها سراجاً فأتجه طيباً من طيبين لا يسبه بمسبة ولا يبغى عليه قائل.

فكان أحدنا وولدنا وعمنا وابن عمنا ثم إن أسبق السابقين إليه منا ثم تلاه في السبق أهلنا ولحميتنا واحدا بعد واحد ثم إنا لخير الناس بعده وكأرمهم أدباً وشأرفهم نسباً و أخيرهم منه رحما عجبا لابن الزبير يسب بنو هاشم وا إنما شرف هو و أبوه وجده بمصاهرتهم أما والله إنه لمسلوب قريش ومتى كان ابن العوام خويلد يطمح في صفية بنت عبد المطلب؟ قيل للبغل من خالك فقال خالي الفرس))[1]

نجد أن الخطبة جاءت على نهج التوضيح والإرشاد ابن الزبير الذي بدأ يسب بني هاشم ووضح ابن عباس في خطبته هذه أن جميع النشء كانوا مع بعض قريش وبنو هاشم إن الذي سقى وجعل باب الكعبة ذهباً عبد المطلب. ووصف ما كانت عليه قريش ويصف أنهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرمهم نسباً .

إن الخطبة في مجملها توضح معالم بني عبد المطلب ومكانتهم والنواحي الجمالية في هذه الخطبة استخدم السجع (كفر ماحق) و (دين فاسق).

وكان ابن الزبير في خطبة ذات مرة وابن عباس جالسا تحت المنبر مع الناس فقال:((إن رجلاً ها هنا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره يزعم أن متعة النساء حلالاً من الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ويفتي في القملة والنملة، وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس وترك المسلمون بها يرتضخون النوى وكيف ألومه على ذلك وقد قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله- صلى الله عليه وسلم - ومن وقاه بيده)).

[1] - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، المجلد الخامس، ص821-823

إن هذه الخطبة كانت عبارة عن مناظرة في حكم المتعة بين ابن عباس ابن الزبير حيث رد عليه عبد الله ابن عباس وقال يا ابن الزبير أما العمى فإن الله تعالى يقول چ ى چ [1] ، وقد لزم ابن عباس الحجة لابن الزبير في خطبته التي قالها في حكم المتعة وتمثل الخطبة الحوار الحجاجي الذي يلزم صاحبه الحجة لخصمه.

ثانياً:الخطابة في عهد عبد الملك بن مروان:

لما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة بعد مروان ابن الحكم خطب في أهل المدينة فقال:((إن حق الناس أن يلزم الأمر الأول و لأنتم وقد سألت علينا أحاديث من قبل هذا المشرق لا نعرفها ولانعرف عنها إلا قراءة القرآن فالزموا ما في مصحفكم الذي جمعكم عليه الإمام المظلوم رحمه الله، وعليكم بالفرائض التي جمعكم عليها إمامكم المظلوم رحمه الله، فإنه قد استشار في ذلك زيد بن ثابت، ونعم المشير كان للإسلام رحمة الله فأحكما ما أحكما واسقطا ما شذ عنهما))[2]

تدل الخطبة على الإرشاد والوعظ وعدم الأخذ من ما يرد من المستشرقين وعليهم بالأخذ من الكتاب الذي دونه الصحابة رضوان الله عليهم ولا تأخذ بالشذوذ بل بالأحكام الواضحة الدلالة والمعنى.

---

[1] - سورة الحج الاية 46

[2] - ابن سعد محمد، الطبقات الكبرى،بيروت دار صادر ، 1960م، المجلد الخامس، ص233 وأورد بن كثير في البداية والنهاية ، الملجلد التاسع ص63 نصا مشابهاً .

وحج عبد الملك ذات مرة فأمر الناس بالعطاء فخرجت بدرة مكتوب عليها، من الصدقة فأبى أهل المدينة قبولها وقال لهم: إنما كان عطؤنا في الفيء فقال عبد الملك وهو على المنبر:((يا معشر قريش مثلنا ومثلكم أن اخوين في الجاهلية خرجا مسافرين فنزلا في ظل شجرة تحت صفاه فلما دنا الرواح خرجت إليهما من تحت الصفاه حية تحمل ديناراً فالقته إليهما، فقالا إن هذا لمن كنز فأقاما عليها ثلاثة أيام كل يوم تخرج إليهما ديناراً فقال أحدهما لصاحبه: إلى متى ننتظر هذه الحية؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه؟ فنهاه أخوه وقال له: ما تدري لعلك تعطب ولا تدرك المال فأبى عليه وأخذ فأساً معه ورصد الحية التي خرجت فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها فثارت الحية فقتلته ورجعت إلى جحرها فقام أخوه فدفنه و أقام حتى إذا كان من الغد خرجت الحية معصوبا ر أسها ليس معها شيء فقال لها: يا هذه الحية إني والله ما رضيت ما أصابك ولقد نهيت أخي عن ذلك فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضربني ولا أضربك وترجعني إلى ما كنت عليه قالت الحية: لا قال: ولم ذلك؟ قالت: إني لأعلم أن نفسك لا تطيب لي أبداً و أنت ترى قبر أخيك ونفسي لا تطيب لك بدأً و أنا أذكر هذه الشجه واستشهد بشعر النابغة:-

وأرى قبراً تراه مقابلي * * * وضربة فأس فوق رأسي قل ه

يا معشر قريش:وليكم عمر بن الخطاب فكان فظاً غليظاً مضيقا عليكم فسمعتم له وأطعتم ثم وليكم عثمان فكان سهلاً ليناً كريماً فعدوتم عليه فقتلتموه وبعثنا عليكم مسلماً يوم الحسرة فقتلكم فنحن نعلم.

يا معشر قريش: (إنكم لا تحبوننا أبداً وانتم تذكرون يوم الحسرة ونحن لا نحبكم أبداً ونحن نذكر قتل عثمان)[1]

وان الخطبة عبارة عن نصيحة من عبد الملك لقبول الصدقة كما وضح دور عمر بن الخطاب لما كان ولياً فيهم وهم متبعون له رغم الغلظة والتضييق وعثمان بن عفان لما كان ولياً عليهم قتلوه رغم اللين والسهولة معهم ووصفهم بعدم حبهم له ووضح في ذلك الأسباب.

وخطب عبد الملك في مكة بعد مصرع الزبير فقال:((أما بعد فإنه كان من قبلي من الخلفاء يأكلون من المال ويؤكلون وا ٍنني والله لا أوا ي هذه الأمة إلا بالسيف ولست بالخليفة المستضعف ولا الخليفة المداهن ولا الخليفة المأمون أيها الناس إنا نحن نحتمل منكم كل الغرمة ما لم يكن عقد ر أيه أو ثواب على منبر هذا هو عمر بن سعيد حقه قرابته وابنه قال برأسه هكذا فقلنا بسيفنا هكذا.وا ٍن العمامة التي خلعها من عنقه عندي وقد أعطيتُ الله عهداً أن لا أضعها في رأس أحد إلا أخرجها الصعداء فليبلغ الشاهد الغائب.))[2]

[1] - المسعودي ، مروج الذهب ، المجلد الثالث ، ص128

[2] - ابن كثير، البداية والنهاية، ص62 واورد ابن عبد ربه في عقده ،ج 4، ص90 نص هذه الخطبة بشكل مختصر.

ولما قدم الحجاج أميراً على العراق من قبل عبد الملك بن مروان دخل المسجد معتماً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه متقلداً سيفاً متنكباً قوساً يؤم المنبر فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة يؤم المنبر فقال الناس: بعضهم لبعض قبح الله بني أُميه حين ستتعمل مثل هذا على العراق فلما ر أى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * * * متى أضع العمامةَ تعرفوني[1]

يا أهل الكوفة إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها واني لصاحبها، وكأنني أنظر للدماء تترقرق بين العمائم واللحى ثم قال:

هذا أَانِ الشدِّ فاشتدِّ يزيمَ ْ * * * قد لفَّها الليلُ بِسَوَّاقٍ حطُمِ ْ

ليس براعي إبلٍ ولا غنم * * * ولا بجزارٍ على ظهرِ وضم ْ [2]

ثم قال :

قد لفَّهَا الليلُ بسوَّاقٍ حطمْ * * * أروع خراجٍ من الدوي

وقال:

قد شمَرْت عنَ ْ ساقِها فشدوا * * * وجدتُ الحرب بكم فجدوا

وليلقوس فيها وترٌ وعردٌ * * * مثل ذراع البكر أو أشد[3]

[1] - البيت لحسيم بن وثيل، أحد فرسان بني تميم وشعرائها .
[2] - البيت لرويشد بن رميض العنبري.
[3] لرويشد كما في حواشي جواهر الادب ، ج2 ، ص 124.

لابد ها ليس منه بد ، إني والله يا أهل العراق ما يقَعِ لي بالشنان ولا يغمز جانبي كتغماز التين ولقد فررت عن ذكاء ، وفتشت عن تجربة ، وا ِن أمير المؤمنين أطال الله بقائه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عوداً واصلبها مكسراً فرماكم بي لأنكم طالما أرضعتم في الفتنة و أضجعتم في مراقد الضلال والله لإحزمنكم حزم السلم ولإضربنكم ضرب غرائب الإبل فإنكم كأهل قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم اللهفأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وا ِني والله ما أقول إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت ولا أخلق إلا فريت إن أمير المؤمنين أمرني باعطائكم عطياتكم وا ِن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة وأني أقسم بالله لا أجد رجل تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه))[1]

إن الخطبة التي خطبها الحجاج كلها وعيد وتهديد كما شرح لهم دوره في هذه الولاية حتى يعلم الجميع ما يصنع في العراق من قبله حزم وضرب وقتل لكل من خرج عليه وكانت ولية استبداد وظلمة لأهل العراق.

ولما أنتصر الحجاج على ابن الاشعث في دير الجماجم خطب في أهل العراق فقال:((يا أهل العراق إن الشيطان قد ستبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والشغاف ثم مضى إلى الأمخاخ والإصماغ ثم ارتفع فعشعش ثم باش وفرخ فحشاكم نفاقاً وشقاقاً وقد اتخذتموه يلاً تتبعونه وقائداً تطيعونه و أمروا مراً تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقفة أو يحجزكم إسلام أو يردكم إيمان ألستم أصحابي

[1] - السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ص124

بالأهواز حين رمتم المكر وسعيتم بالغدر وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته وأنا أرميكم بطرفي وأنتم تتسللون لوازاً وتنهزمون سر اعاً .

يوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتنازعتم وبر أه الله منكم ونكوص إليه عنكم وا ذا وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها النوازع إلى أوطانها لا يسأل المر ء منكم عن أخيه، ولا يلوى الشيخ ابنته حتى عضكم السلاح وقصمتكم الرماح ويوم دير الجماجم وما دير الجماجم! بها كانت المعارك والملاحم بضريز يل الهمام عن مقيله ويذهب الخليل عن خليله.

يأهلُ العراقِ أهل الكفران والغدرات والثورة بعد الثورات إن أبعثكم إلى ثغوركم عللتم وخنتم وا ن آمنتم أرجفتم وا ن خفتم نافقتم لا تذكرون خشية لا تذكرون نعمة هل لتخفكم ناكث ولتغواكم غاوٍ ، واستنصركم ظالم، واستعضدكم خالع، إلا وثقتموه و آويتموه ونصرتموه ورضيتموه؟ هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو زفر زافر إلا وكنتم شياعه و أنصاره ألم تنهكم المواعظ ألم تزجركم الوقائع ثم نظر لكم كالظليم الذاب عن فر خه ينفي عنه المدر ويبعد عنها الحجر ويكنها في المطر يا أهل الشام أنتم الجنة والرداء وأنتم العدة والغطاء))[1]

وأسلوب الحجاج في خطبه مرآة تتجلى فيها نفسيته الصاخبة الهدارة التي تسلحت بالحزم والشدة و السياسة التي ألفت العنف والصرامة فصاحته وبلاغته اللتان ملأتا النفوس و القلوب روعة وهولاً .

[1] - الدكتور أحمد فريد الرفاعيب، عصر المأمون، المجلد الأول ، ص 51

وكان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحجة وكان شجاعاً عنيفاً .[1]

أرد الحجاج أن يكون لسانه كسيفه يفرع الثائرين و المفسدين قرعاً فرصي في كلامه إلى التهويل والتخويف وجعله قوياً ومعاينه قوية في مبناه بهذا عنى بكلامه عناية شديدة ونمقه تنميقاً ملموساً .[2]

أما قوة المعاني فقائمة على الإكثار من ذكر الموت الضرب والقتل وما إلى ذلك ونشر المساوي بكلام شديد الصرامة والتعبير والاستفهام وغير ذلك من وجوه البيان.

أما قوة الصورة فقائمة على تراكمها وبعدها وغرابتها وهولها((يا أهل العراق أن الشيطان قد استبطنكم..) أما قوة المبنى فقائمة على إيجاز العبارة وجزالتها وسرعة تدافعها وشدة موسيقاها وغرابة ألفاظها((أما والله يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق) وقد صار القول أن الحجاج يعمد إلى الأغراب لتفخيم الأمور وتهويلها على السامعين وهو كثير في الصور ة المفزعة والألفاظ الزاجرة، والأشعار الغريبة في تحجير وتنميق ورصف وتجويد.[3]

ولكنه أكثر الناس ميلا إلى البطش وسفك الدماء وكان يضارع في البراعة والخطابة وشهد له معاصروه بذلك فقال ابن دينار:(ما رأيت أحد ابين من الحجاج وا ن

[1] - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص330
[2] - السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ص123
[3] - السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ص123

كان ليرقى المنبر ويذكر لحسانه لأهل العراق وصفحه عنهم لإساءتهم إليه حتى أقول في نفسي لاحسه صادقاً وإني لأظنهم ظالمين له.)

ولما كلف عبد الملك بن مروان خالد بن عبد الله القسري- لما ولاه مكة - أن يبحث عن سعيد بن جبير الهارب من الحجاج والقبض عليه وإرساله إليه ،جمع خالد الناس وخطبهم فقال بعد أن حمد الله و أثنى عليه وقرأ عهده بالتولية وبعد ان سمع الناس طلب عبد الملك أن يسلموا سعيد بن جبير:((والذي نحلف به ونحج إليه لا أجده في دار أحد إلا قتلته وهدمت دار كل من جاوره واستبحت حرمته وقد أجلت لكم فيه ثلاثة أيام))[1]

إن هذه الخطبة التي قام بها خالد بن عبد الله عبارة عن تهديد ووعيد لمن كان عنده في داره سعيد بن جبير الذي هرب من عدالة الحجاج بن يوسف في العراق وأمهلهم في ذلك ثلاثة أيام.

المبحث الثالث:

الخطابة في عهد الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز:

أولاً : الخطابة في عهد الوليد بن عبد الملك"

لما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة ولي عمر بن عبد العزيز على المدينة فأقبل عمر على المدينة وجمع عشرة من فقهائها منهم عروة بن الزبير وسالم بن عبد الله بن عمر وغيرهما ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:((إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه

[1] - محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية، ص125.

وتكونون فيه أعواناً على الحق ما رأيد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو رأي من حضر منكم فإن رأيتم أحداً يتعدى أو أبلغكم عن عامل لي ظلامه فاخرج الله على من بلغه ذلك إلا ما بلغني))[1]

شرح عمر بن عبد العزيز بان الأمر يؤكل لأهله من العلماء ويجب أن يشور الوالي من يثق في عمله ومعرفته بالتشريع ويجب تبليغ الحاكم بالمظالم حتى يقضي فيها ويرد الحق إلى أهله وا ٍلا كان ذلك خروج على الله.

ولما ورد عثمان بن حبان والياً على أهل المدينة خطب فقال:((أيها الناس: أنا وجدناكم أهل غش لأمير المؤمنين في قديم الدهر وحديثه وقد ضوى إليكم من يزيد خيالاً أهل العراق هم أهل الشقاق و النفاق هم والله عش النفاق وبيضته التي تقلقت عنه ولها ما جربت عراقياً قط إلا وجدتُ أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل أبي طالب ما يقول ماهم له بشيعة وا ٍنهم لأعداء لهم ولغيرهم، ولكن لما يريد الله من سفك دمائهم فإني والله لأوتي بأحد آوى أحداً منهم أو أكراه منزلاً أو أنزله إلا هدمت منزله أو أنزلت به ما هو أهله ثم أن البلدان لها مصرها عمر بن الخطاب وهو مجتهد على ما يصلح رعيته،جعل يمر عليه من يريد الجهاد فيستشيره الشام أحب إليك أم العراق؟ فيقول الشام أحب إلي ّ . إني رأيت العراق داء عضالاً وبها فرخ الشيطان والله لقد أعضلوا بيوا ٍني لأراني سافرقهم في البلدان ثم أقول: لو فرقتهم لأفسدوا من دخلوا عليهم بجدل ولجاج وكيف ولما وسرعة وجيف في الفتنة فإذا خبّروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل لم يصلحوا على عثمان فلقي منهم الأمرين وكانوا أول الناس فتق هذا الفتق العظيم ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة وأنخلط البلدان والله إني لأتقرب إلى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف عن رأيهم ومذاهبهم.ثم وليهم أمير المؤمنين معاوية فدمجهم فلم يصلحوا عليه فوليهم رجل الناس* جلداً فبسط عليهم السيف فأخافهم فاستقاموا له أحبوا أو كرهوا وذلك لأنه خبرهم وعرفهم.

[1] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص217

أيها الناس والله ما رأينا شعاراً قط مثل الأمن ولا رأيت جلساً قط شراً من الخوف فألزموا الطاعة فإن عندي يا أهل المدينة خيرة في الخلاف والله ما أنتم بأصحاب قتال فكونوا من إجلاس بيوتكم وعضوا على النواجز فإني قد بعثت في مجالسكم من يسمع فيبلغني عنكم في فضول كلام غيره الزم لكم فدعوا غيب الولاة فإن الأمر إنما ينتقض شيئاً فشيئاً حتى تكون الفتنة من البلاء والفتن تذهب الدين والمال والولد))[1]

نجد أن هذه الخطبة عبارة عن وعيد وتهديد لأهل العراق وهي على شاكلة توضيح الفكرة بأيسر عبارة واقرب طريق وكانت قاعدة البلاغة فيها الإيجاز.

ولما أراد الوليد بن عبد الملك أن يفتح اسبانيا أمّر طارق بن زياد على الجيش وقد كان خطيباً مصقعاً وبطلاً مقداماً بعيد الهمة يعشق المجد تصبو نفسه إلى الفتوحات فخرج من المغرب في أثني عشر ألف جندي يقلهم أسطول قوي قد جهز لذلك وعبر البحر إلى اسبانيا لفتحها فلما علم رود ريك ملكها بقدوم المسلمين إلى بلاده قابلهم بجيش عظيم، هالت طارق كثرة عددهم وكمال عدته،فبادر طارق وأحرق أسطوله ليقطع أمل أصحابه في الرجوع، وقال لهم:((أيها الناس أين المفر البحر من ورائكم والعدو أمامكم، وليس لكم إلا الصدق والصبر واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة وأنتم لاوزر لكم إلا سيوفكم ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذه الطاغية فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإن انتهاز الفرصة ممكن أن سمحتم لأنفسكم بالموت وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجو لاحملتكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس اربأ فيها بنفسي واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفة الألذ طويلا ولا

* يقصد برجل الناس الحجاج بن يوسف

[1] - الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ص258

ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فيما حظكم فيه أوفر من حظي، ولقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة وقد أنتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عزلناً ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعان و سماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم،والله تعالى ولي أنجادكم على ما يكون لكم ذخراً في الدارين.

واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم فقاتله - إن شاء الله تعالى - فاحملوا معي فإني هلكت بعده فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه وا ِن هلكت قبل وصولي فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا بالمهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فإنهم بعده يخذلون))[1]

إن هذه الخطبة تعتبر من روائع الأدب العربي على الرغم مما لحقها من النعوت وما شابها من صروف الأدباء إلى آخر. وقام فيها بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وحث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال: (أيها الناس أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو من أمامكم...)

وهي عبارة عن خطاب حماسي للجنود وهم في حالة استعداد ومهما يكن من أمر فالأكيد أن الخطبة أوجدتها حالة واحدة وظرف لا يختلف حوله المؤرخون: وهو فتح الأندلس سواء كان قبل المعركة والتحام الجيوش.

وقد اشتملت هذه الخطبة على التعبير الحجاجي وما قام به الخطيب في سبيل إيصال رسالته إلى جنوده والظروف لا يتطلب غير تلك الرسالة الصريحة الفصيحة.

وتعتبر هذه الخطبة مرجعاً في فن الخطابة وخطة عسكرية ومادة تاريخية وأنموذجاً في التصدي للمحن وقد مارس منذ الوهلة الأولى سلطة القائد ،اثبت أنه يتصرف مع جنده تصرف العارف بخبايا الحرب، ومكامن نفوس الجند، وهي حالة ترهيب وتر قيب.

[1] - السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، ص125

وقد استخدم أسلوب التعريض ونجده في قوله:((وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأقواته موفورة...)).

كما استخدم حجة السلطة التي تقوم على فكرة الأمر والاستجابة له، ليكون له سلطات الأمر وفرض السلطة والسيطرة على الموقف من حيث هو ظرف لا يقبل اللين والتراخي ونجده منتشر في كثير من نص الخطبة منها:

((و أنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم)).

((فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية..)).

((وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال..)).

((والتقى الجمعين حامل نفسي على طاغية القوم...)).

وقد استخدم أيضاً أسلوب الإغراء بالماديات (المصاهرة – المغانم – الخالصة).

وقد تناول في الأسلوب الحجاجي ما تداوله النص. من عبارات وروابط وهي:

(أيها الناس) أسلوب النداء- أين المفر؟ الاستفهام ليس لكم والله إلا الصدق والصبر الحصر والقسم.

إن امتدت بكم شرط فادفعوا الفاء الرابطة.

ليكون ثوابه منكم.اللام ولم تنجذوا لكم أمراً - النفي.[1]

ثانياً : الخطابة في عهد سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز

خلف الوليد في الخلافة أخيه سليمان بن عبد الملك وكان خالد بن عبد الله القسري عاملاً على مكة وكان قد صعد المنبر يوم الجمعة في زمن الوليد ومدح الحجاج وأثنى عليه فلما كانت الجمعة التالية ورده كتاب من سليمان الذي خلف أخيه يأمره يشتم الحجاج والبراءة منه، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال:((إن أبليس كان ملكاً من الملائكة وكان يُظهر من طاعة الله ما كانت الملائكة ترى له فضلاً، وكان قد علم من غشه وخبثه ما خفى على الملائكة فلما أراد الله فضيحته ابتلاه بالسجود لآدم فظهر

[1] - محمد العبد ، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الاقناع، ص144

لهم ما كان يخفيه فلعنوه وا ٍنّ الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفى عنا، فلما أراد الله فضيحته أجرى ذلك على أمير المؤمنين فالعنوه لعنه الله))[1]

تعتبر هذه الخطبة من الخطب التي تصنع للمواقف وتتجلى فيها الفكرة من حيث تناولها للموضوع هو نبذ الحجاج لانه الأمر جاء من الخليفة وهي دعوة إلى الطاعة والميول مع الحكام فيما ادعى لأمر تسود فيها الحنكة وهي أسلوب اختص به خالد ابن عبد الله القسريمن تملق وتطبيل للحاكم وا ٍتباع هواه من أجل المصالح الخاصة.

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز خطب من أجل فدك فقال:((إن فدك كانت مما أفاء الله على رسوله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا راكب فسألته إياها فاطمة رحمها الله تعالى فقال: ما كان لك أن تسأليني وما كان لي أن أعطيك فكان يضع ما يأتيه منها في أبناء السبيل ثم ولى أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فوضعوا ذلك حيث وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تولى معاوية فقطعها مروان بن الحكم فوهبها مروان لأبي ولعبد الملك فصارت لي ّ وللوليد وسليمان فلما ولي الوليد سألته حصته ومنها وفوهبها لي، فسألت سليمان حصته منها فوهبها فاستجمعها وما كان لي من مال أحب منها فاشهدوا أني قد رددتها إلى ما كانت عليه.))[2]

أن هذه الخطبة شملت على وصف وتحليل عام من حيث الهدف الذي من أجله قال عمر بن عبد العزيز هذه الخطبة التي تحدث عن مال المسلمين منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم مروراً بالعهد الأموي حتى ولايته.

وقد ازدهرت الخطابة في العصر الأموي ازهاراً كبيراً لقد عملت في هذا الازدهار وهيئات له أسباب مختلفة منها السياسة والدينية والمحفلية هذا بالإضافة إلى أن

[1] - ابن عبد ربه، العقد الفريد، المجلد الرابع، ص135
[2] - البلازري، أحمد يحي بن جابر، فتوح البلدان، القاهرة شركة طبع الكتب العربية،1901م، ص39

السلائق اللغوية كانت لا تزال موجودة وكانوا من بلاغة المنطق وحسن البيان وجودة الإفصاح والإفهام بحيث يستطيع متكلمهم أن يبلغ ما يريد من استمالة الأسماع مع الديباجة الرائعة والرونق البديع.[1]

وكانت نزعة الخطابة في هذا العهد نزعة دينية في كثير من أحوالها وظهرت فيها معاني القرآن التي كان يرغب الخطباء في اقتباسها كما كانوا يرغبون في إرسال الحكم وقد تفتحت فيه العاطفة الدينية بشدة فنهضت الحياة، واهتم الخطباء بالتأثير والإقناع اهتماماً واسعاً فأكثروا من أساليب التهديد والتوبيخ والوعيد والإنزار، ولأن جارت الخطابة الطبع في فخر الإسلام فقد تطورت مع الأيام وأخذت تهتم بفنون الموسيقى الصوتية وضروب التخيير والتحسين.

وظهر السجع بعد أن اعرض عنه محمد- صلى الله عليه وسلم - تحاشيا عن أساليب المتكهنين ،وكان ظهوره خصوصاً عن ألسنة خطباء الوفود حين يقفون بين يدي الخليفة وقد كثر السجع شيئاً فشيئاً، كما كثر التصوير وصوت خطب ذلك العهد ولا سيما الأموي فنوناً من البلاغة والفصاحة وروعة التعبير وضروباً من التقسيم والتشبيهات والاستعارات إلا إنها لم تخرج عن قدرة الإيجاز في مجملها كما أنها لم تخرج خروجاً جوهرياً عن الشدة والصلابة والمتانة الجاهلية.[2]

وقد كان العصر الأموي هو عصر التنازع السياسي الحاد الدامي، المعبر عن ذاته بالخطابة فضلاً عن الشعر فقد نمت الخطابة السياسية في هذا العصر ونهضت نهوضاً عظيماً، إذ دارت على لسان كل مؤيد ومعارض وليست هناك حزب ولا ثورة كبيرة أو صغيرة إلا ولها خطباء ينبرون للترويج لهذا الحزب أو تلك الثورة.[3]

---

[1] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، المجلد الثاني، ص405.
[2] - حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص319.
[3] - شوقي ضيف، تاريخ اللأدب العربي، المجلد الثاني، ص410.

وقد كثرت الخطابة بعد مقتل سيدنا عثمان بسبب اختلاف المسلمين وتعدد الفرق واختلاف الأحزاب واعتمد كل حزب عليها لتأييد دعوته.[1]

ويميز الخطابة في هذا العصر ما يميز الأدب عامة، من فخامة الألفاظ ومتانة التراكيب والتباعد من حشوى الكلام ويميزها أيضاً أنها اقتبست من القرآن الكريم كثيراُ، ونهجت نهجه في الإرشاد والإقناع وأنها تبدأ بحمد الله والصلاة على رسول الله- صلى الله عليه وسلم حتى قيل لخطبة زياد المشهورة التي خطبها في العراق (البتراء) إذا لم يحمد الله ولم يصل على نبيه فيها وقد كان هذا العصر احفل العصور بالخطباء فقد كان جل الخطباء والقواد وولاة الأمصار وزعماء الأحزاب المختلفة خطباء مصاقع فيما يحفظه تاريخ الأدب من آثار الخلفاء ولا سيما الإمام علي وفي خطب الحجاج بن يوسف وزياد بن أبيه وطارق بن زياد ومصداق لما نقول.

أما خطب المحافل فإن معاوية هو الذي ساعد على تطورها لأنه أول من فتح بابه على مصراعيها لتلك الوفود فكانت ترد تباعاً إلى ساحته وهو دائم الحفاوة بها وممن اشتهر بالخطابة بين يديه سحبان خطيب وائل وقد اشتهر بخطبته الشوهاء التي خطب بها عندهفلم ينشد شاعراً ولم يخطب خطيب.[2]

وبذلك أنفتح الباب أمام الخطباء وممن اشتهر بكثرة الوفود عليه من خلفاء بني أمية عبد الملك بن مروان، ولم تكثر هذه الوفود على أبواب الخلفاء فحسب، فقد كان الخطباء يفدون على الولاة كما نشط الوعظ القصصي الديني نشاطاً عظيماً وكان الوعاظ والقصاص في كل دولة إسلامية.

وقد قضت الخطابة الإسلامية على كل لون قديم من الخطابة الجاهلية لا تتفق وروح الإسلام فقضت على التفاخر بالأنساب والاعتزاز بالاحساب والدعوة إلى ظلم الآخرين قبل أن يعتدوا ويظلموا والفخر بالجهالة والطيش وصارت للخطابة أصول ثابتة

[1] - د.أحمد ريد رفاعي، عصر المأمون، المجلد الأول، ص50
[2] -د.أحمد فريد الرفاعي، عصر المأمون، المجلد الأول، ص50

كأبتدئها بحمد الله وتوحيده وتمجيده والثناء عليه وقد يضاف إلى ذلك الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه فإن خلت من حمد الله سميت بتراء وكتوشيتها بالآيات القرآنية فإن خلت منها دعيت شوهاء.[1]

وقد تأثر الخطباء بالقرآن الكريم والثقافة الإسلامية وقد لا تتضمن الخطبة الآية القرآنية بنصها بل ينتقل معناها وهذا ما سماه البلاغيون اقتباساً وقد كان للقرآن الكريم أثره من حيث الشكل والصياغة وكان له أثره من حيث الغرض والأفكار، فكان الخطيب يعتمد على الأفكار الإسلامية والقرآنية سواء أكان غرضه دينياً أو سياسياً .[2]

والخطابة اليوم على الأخص ضرورة من ضروريات الاجتماع لا يستغنى عنها حاكم ولا نائب ولا كاتب ولا محام ولا معلم ولا ممثل ولا واعظ ولا طبيب فكل إنسان ظاهر الشخصية لا بد أن توقفه الظروف يوماً موقف الخطيب فيستقبل أو يودع أو يركم أو يؤبن أو يهنيء أو يشكر فمن نقص التربية وسواء التعليم إذن أن لا يؤخذ النشء بها، لأن وقت الدراسة هو انسب الأوقات للمران عليها.[3]

ومن أجل ذلك ينبغي أن نفرد لها المساحة في المنهج الدراسي حتى ينهل طلابنا من هذا المعين الذي لا ينضب.

---

[1] ـشوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، المجلد الثاني، ص428

[2] ـ محمد عبد القادر، دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي، ص60

[3] ـ أحمد حسن الزيات، وحي الرسسالة ،دار الثقافات ،بيروت، المجلد (د ت ط) ، ص357

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، لقد تم بحمد الله وتوفيقه هذا البحث المتواضع الذي أهتم بتطور فن الخطابة في القرن الأول الهجري وهو بحث يتضح من خلاله تطور فن الخطابة واختلافها عن العصر الجاهلي ، وذلك لاختلاف الدواعي واختلاف المفاهيم وتغيرها .

وقد مهد الباحث لهذا البحث بمقارنة عقدها بين الخطابة في العصر الجاهلي والخطابة في الإسلام، إن كانت الخطابة في العصر الجاهلي ذات دواعي مختلفة فإن الخطابة في الإسلام كانت ذات دواعي متعددة وهذا ما خصصه الباحث للفصل الأول بمباحثه . فإن الدين داعي أكيد تتطب الدعوة إليه الخطب القوية والحجج الواضحة والبراهين للدّالة بتثبيت الذين أسلموا ولترغيب غيرهم في الدخول في الإسلام.

ولارتباط الدين بالسياسة ، فإن ذلك يتطلب خطباً توضح سياسة الدين للحياة الدنيا ونظرته لشوؤن الحكم والسلطة .

قد أورد الباحث نماذج لهذه الأنواع من الخطب ، أمَّا الداعي المحفلي والذي تميز به بنو أُمية فقد كان دعامة وعماد لحكمهم من خلال الوفود التي كانت تتقاطر على خلفائهم وولاتهم .

أمَّا الفصل الثاني فقد اشتمل على الخطابة في صدر الإسلام وعلى وجه الخصوص خطب الرسول – صلى الله عليه وسلم – وخطب خلفائه الراشدين من بعده ، وهي خطب تعلم الناس أمور دينهم ودنياهم ، وتوضح الأساس الذي ينبغي أن تُ بنى عليه دعائم المجتمع الإسلامي، وهي خطب تأخذ من نص القرآن الكريم وأحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – والملاحظ أنها خطب تتسع مواضيعها وتتشعب بتشعب الحياة واتساع رقعة الإسلام . وما فيها من نواحي جمالية وبلاغية.

أمَّا الفصل الثالث فقد كان عن الخطابة في جزء من العصر الأموي والذي تنوعت وتعددت الخطب فيه لتعدد الفرق وتعدد الحلفاء وبقدر قوة الخليفة وضعفه تكون خطبه وبقدر تمسكه بتعاليم الدين يكون اقتباسه من القرآن والحديث .

وفي هذا الفصل يتضح أن خطب العهد الأموي تختلف عن خطب صدر الإسلام في درجة بلاغتها ، فظهر فيها السجع من جديد وذلك ناشئ من التغيرات في الحياة الاجتماعية ، وما الخطيب إلا مرآة تعكس دواخل المجتمع .

النتائج والتوصيات :

من هذا البحث توصَّل الباحث إلى النتائج التالية :

أولاً :إنَّالصّيغ اللغوية والأسس التركيبية التي تستند إليها لغة الخطابة في الحدود الزمنية من القرن الأول الهجري وقياس حجم التغيير كانت واضحة الدلالة والمعاني ممتازة في جودة قواعدها النحوية والصرفية غنية بالمفردات الجميلة ذات الخصوصية.

ثانياً: من خلال التحليل الأدبي البلاغي لقد وجد الباحث أن القيمة الجمالية والأدبية في تلك الخطب ذات معاني واضحة و أسلوب متجدد في طرح الفكر والدعوة إلي الدين الإسلامي وجذب الانتباه لما تتضمنه تلك الخطب من عبر وعظات ورسم وتخطيط بانتشار الدعوة في جميع دواعيها المختلفة.

ثالثاً إنَّ التطور الذي حدث في تلك الفترة على فن الخطابة هو تتبع وتطلع كل جيل إلى تحقيق أهدافه وبيان هيمنته على المجتمع حتى يسوده ويمكن الاستفادة من ذلك في تطوير علم الخطابة في المنهج الحديث .

رابعاً : حفلت الخطب بالعديد من الصور الجمالية والبيانية التي كانت تستخدم منذ عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى نهاية القرن الأول الهجري .

حيث ترقى البلاغة النبوية بسهولة ألفاظها ووضوح المعاني ، وهي خالية من التكلُّف والسجع والصنعة .

وا ٍن الخطابة في عهد بني أمية تختلف عن الخطابة في صدر الإسلام في درجة بلاغتها ، فظهر فيها السجع من جديد وذلك ناشئ من التغييرات الاجتماعية .

التوصيات

ومما هو معلوم أن عصور الخطابة متعددة فإن تناول هذا البحث عصراً من تلك العصور فإن الباحث يرجو أن يأتي بعده من يتناول ما تبقى من تلك العصور وذلك لأن هذه الخطب هي مفتاح البلاغة ومعين اللغة الذي لا ينضب وهذا بالإضافة إلى أنها تساعد في بناء المهار ات والقدرات اللغوية .

واقترح الباحث أن تكون هناك بحوث تشمل تلك العناوين يتناولها الباحثين من بعده وهي على النحو التالي:

1- الخطابة في العصر الحديث وربطها بالماضي .

2- النواحي الجمالية والفنية في خطابة بني أُمية .

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم :

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق حسن تميم، بيروت – مكتبة الحياة - 1963 م

3- ابن الأثير أبو الحسن عز الدين ، الكامل في التاريخ ، القاهرة – دار الطباعة المنيرية – 1348 هـ - تصحيح عبد الوهاب النجار

4- ابن سعد محمد، الطبقات الكبرى، بيروت، دار الصادر – 1960م

5- ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، تحقيق احمد أمين وأحمد الزين وا إبراهيم الإبياري –القاهرة – لجنة التأليف والترجمة والنشر - ط3 ، 1965م

6- ابن قتيبية عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار – نسخة مصوره عن طبعة دار الكتب المصرية – القاهرة وزارة الثقافة – 1963م .

7- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل- البداية والنهاية- القاهرة – مطبعة السعادة -1351هـ.

8- ابن منظور الأفريقي ، أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، دار صادر بيروت- ط1 1232م – ط خ 2010م .

9- ابن هشام أبو محمد بن عبد الملك بن هشام المعارفي ، السيرة النبوية – دار الجيل بيروت – ط خ 2011م .

10- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، المجلد الثانى ورد هذا النص بشكل يكاد يكون مطابق في الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني – تحقيق عبد الستار – دار الثقافة ببيروت 1959 المجلد.

11-أبو الفرج الأصفهاني– الأغاني- تحقيق عبد الستار أحمد فراج- دار الثقافة – بيروت -1959م.

12-أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – تاريخ الأمم والملوك – القاهرة – المكتبة التجارية الكبرى -1939م.

13-أبو زهرة محمد ، الخطابة وأصول تاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، الطبعة الثانية،1980م، بيروت ،دار الفكر العربي.

14- أبو هلال العسكرى ، أبو الحسن بن عبد الله ، الصناعتين ، تحقيق مفيد جميحه ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1984م .
15- أحمد حسن الزيات، وحي الرسالة ،دار الثقافة ،بيروت، لبنان – 1958م.
16-أحمد فريد الرفاعي، عصر المأمون،ط3 – دار الكتب المصرية بالقاهرة 1346 هـ - 1928 م
17-البلازري – أنساب الأشراف – تحقيق باغر المحمودي – القدس– 1938 م .
18-أحمد بن يحي بن جابر البلازري، فتوح البلدان، القاهرة شركة طبع الكتب العربية،1901م.
19-الجاحظ – أبو عثمان عمر بن بحر – البيان والتبيين – تحقيق عبد السلام محمد هارون – دار الجيل بيروت- ط7 – 1998م .
20-الجوهري – إسماعيل بن حماد – تاج اللغة وصحاح العربية – تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ط4 – 1982م.
21-حسن إبراهيم حسن وعلي إبراهيم حسن – النظم الإسلامية – مكتبة النهضة المصرية – ط3 – 1962م.
22-الحصر القيروانى ، أبو إسحاق إبراهيم ، زهر الأدب وثمة الألباب ، القاهرة ، 1954م ، المجلد الأول
23- حنا الفاخورى - تاريخ الأدب العربى- المكتبة البوليسية بيروت – ط9 – 1978.
24- السيد احمد الهاشمى : جواهر الأدب في دلٔبيات وا إنشاء لغة العرب ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر - ط9 (د.ت.ط)
25-السيوطي – جلال الدين عبد الرحمن – تاريخ الخلفاء – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة بمصر – ط1 – 1371هـ-1952 م .
26- شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي – دار المعارف بمصر- ط4 -1963م.
27- شوقي ضيف- الفن ومذاهبه في النثر العربي - ط11 - (د.ت.ط).
28- الشيخ محمد الحضرى بك ، نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان – ط1- 2009م.

29- الشيخ محمد عبده – شرح نهج البلاغة - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ط1 _ 1993م.
30- الطبرى – تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 5- (1408هـ - 1988م)
31- عبد الحليم النجار ، تاريخ الأدب العربى ، ط 5 – 1977م.
32- عز الدين على السيد ، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية – دار إقرأ _ ط1 _ 1984م
33- الإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني – التلخيص في علوم البلاغة ، شرح وتحقيق عبد الرحمن البر قوني ، الطبعة الثانية ، الهامش - دار الفكر العربي - (د.ت.ط)..
34- الفيروز بادي ، محي الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، دار الفكر بيروت ، 1983م .
35- القلقشندي،أبو العباس أحمد بن على ، صبح الأعشى فى صناعة الانشاء نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (د.ت.ط).
36- كمال الدين الزملكاني – البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن الكريم - ط1 – 1394هـ – 1974م .
37- المبرد ، أبو العباس ، محمد بن يزيد – الكامل في اللغة والأدب – دار الفكر العربي (د، ت ، ط) عارضة وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم
38- محمد العبد ، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع – القاهرة – 2002م.
39- محمد رضا – محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم–دار الكتب العلمية – بيروت -1975م
40- محمد عبد القادر أحمد ، دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي مكتبة النهضة المصرية- ط1- (1405هـ- 1986م)

41-محمد ماهر حمادة، سلسلة وثائق الإسلام 8 الوثائق السياسية والإدارية العائد للجزيرة العربية في العصور الإسلامية المتتابعة من العصر الأموي إلى الفتح العثماني – مؤسسة الرسالة بيروت ط1 (1407هـ -1987م)
42-المسعودي أبو الحسن على بن الحسين- مروج الذهب ومعاون الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط3-القاهرة – المكتبة التجارية الكبرى 1958م.
43-مصطفى صادق الر افعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- 1973م .

فهرس الآيات

الآية	اسم السورة	رقم الصفحة
چ چ	ق	25
چ ﭐ چ	الكهف	30
چ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ چ	الحجرات	47
چ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ چ	الليل	60
چ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ چ	الزمر	62
چ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ چ	آل عمران	62
چ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ چ	القصص	62
چ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ چ	نوح	78
چ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ چ	الكهف	78
چ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ چ	يوسف	78
چ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ چ	البقرة	80
چ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ چ	الكهف	83
چ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ چ	أل عمران	85
چ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ چ	غافر	115

120	الأحزاب	چ ٻ ٻ ٻ ې ې ۉ ۉ ۋ ۋ ۅ ۅ ۆ ۆ ۇ ۇ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ٻ ٻ چ
122	الإنعام	چ ۇ ۇ ڪ ڪ ڭ ڭ ۓ ۓ ے ے چ
126	الحج	چ ى چ

فهرس الأبيات الشعرية

القافية	القائل	البحر	الصفحة
اللواء . . . الغد	دريد بن الصمة	الرجز	89
مقابلي . . . فاقره	النابغة الذبياني	الهزج	128
الثنايا . . . تعرفوني	سحيم بن وثيل	الوافر	129
زيم . . . حطم	روشيد بن رميض العنبري	الرجز	129
غنم . . . وضم	روشيد بن رميض العنبري	الرجز	129
بعصلبي . . . الدوي	روشيد بن رميض العنبري	الرجز	129
فشدو . . . فجدوا	روشيد بن رميض العنبري	الرجز	130
وعرد . . . أشد	روشيد بن رميض العنبري	الرجز	130